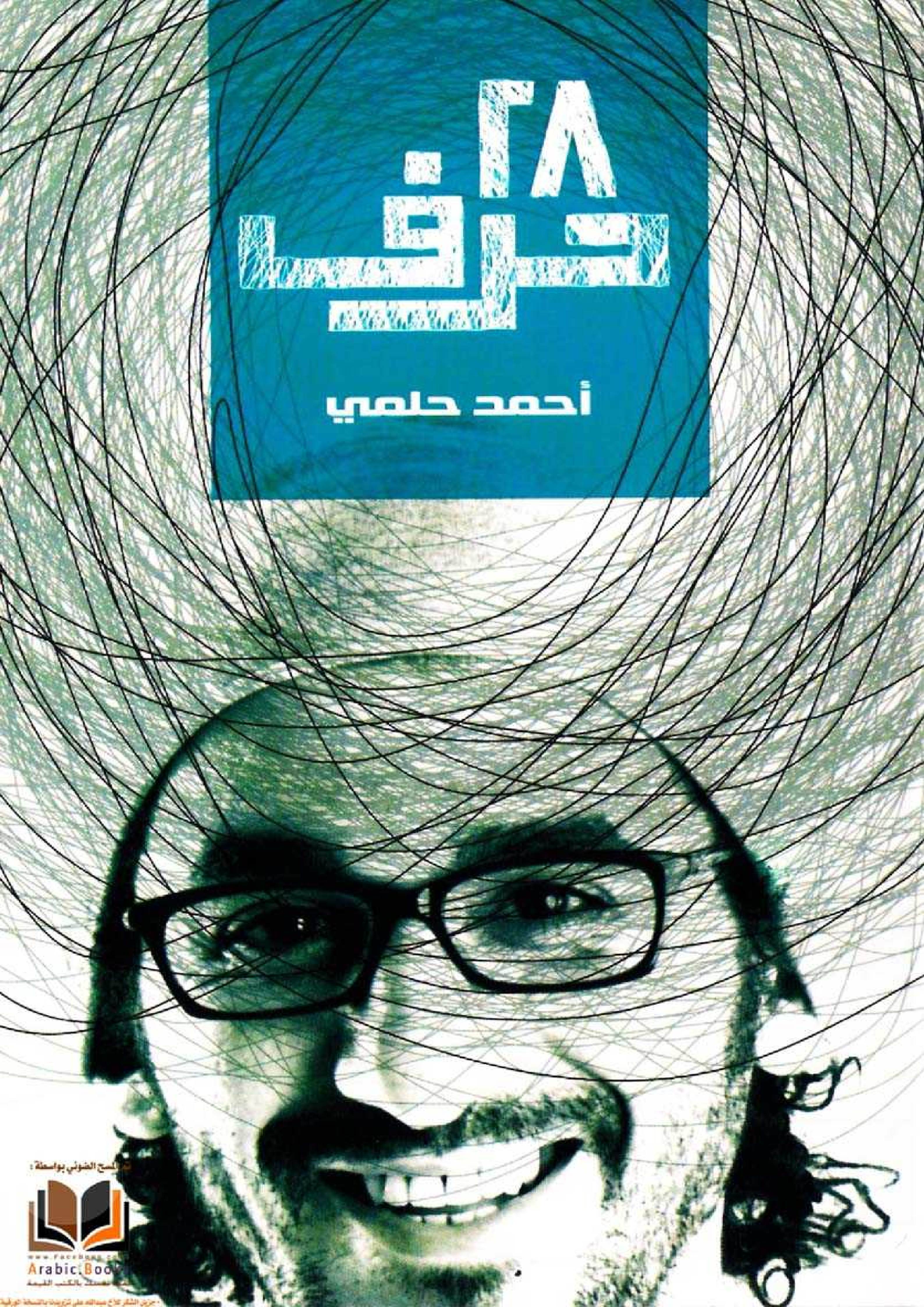
٢٨ حرف

أحمد حلمي



تمت معالجة الكتاب
في قسم المعالجة
التابع لمجلة الإبتسامة

تم المسح الضوئي بواسطة :





جميع حقوق المؤلف المادية عن هذا الكتاب
يتم التبرع بها لجمعية «ألوان وأوتار»

٢٨ حرف

أحمد حلمي

تصميم الغلاف: محمد صالح شحاتة (Shadows)

الطبعة الأولى ٢٠١٢

الطبعة الثانية ٢٠١٢

تصنيف الكتاب: مقالات

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

رقم الإيداع ١٦٨٢/ ٢٠١٢
ISBN 978-977-09-3099-1


٢٨
حرف

إهداء

أبي.. أين أنت؟

هل تراني كما أراك دوما في منامي؟

رحمك الله..

أحمد حلمي

المحتويات

مش مقدمة

قرأت العديد من الكتب.. لم أقرأ يوما مقدماتها.. ولا أعرف السبب.. ربما لأنني لا أحب المقدمات وأفضل الدخول في صلب الموضوع؛ لذلك، وبسبب عدم حبي للمقدمات فليس هناك مقدمة لما سأكتب.. علما بأن ما كتبته الآن قيل لي إنه بمثابة مقدمة، فلتكن كما قالوا.. «مقدمة».

ربما ما تقرأونه يكون خياليا من وحي خيالي، وربما يكون من الخيال أنه بالفعل حدث. سأبدأ هذا الكتاب المتواضع بمقالة وحيدة تم نشرها في جريدة الشروق اليومية في شهر نوفمبر ٢٠٠٩. هذه المقالة بعنوان «ماليش في الكورة» وهي لها وضع خاص في قلبي، فهي مقالتي البكرية وأول خلفتي، كانت لي سندا قويا في الارتكاز عليها لتكملة رغبتي في خلفة غيرها من أخواتها البنات والصبيان من المقالات التي نُشرت في جريدة الدستور الأسبوعي. كما أحب أن أدين بالشكر لأناس شجعوني على الاستمرار في الكتابة بكلمات لم يكن مطلوبا منهم قولها، كلمات أتذكرها جيدا ولن

أنساها حتى ولو نسوها هم. أشكر السيناريست تامر حبيب، والكاتب والسيناريست بلال فضل، والناقد طارق الشناوي، والكاتب الصحفي أحمد المسلماني، وإبراهيم عيسى، ومجدي الجلاد، ودعاء سلطان، والدكتور مصطفى الفقي، وعماد (واحد صاحبي ماتعرفهوش)، وزوجتي الحبيبة ومراتي المخلصة.

ماليش في الكورة

أنا ماليش في الكورة، وآخر حاجة كنت أتوقعها إني أكتب مقال عن الكورة. صحيح الجرأة مطلوبة، بس مش للدرجة دي.. أتمنى أن يكون اللي هاعمله ده، جراءة مش بجاحة. أنا فاكر إني مرة لعبت ماتش وأنا صغير، بس أصحابي علشان كانوا مقدرين موقفي إني «ماليش فيها»، فكانوا بيخلوني ألعب مع الفرقتين في نفس الوقت وفي نفس الماتش، أول ما الكورة تيجي عندي أحطها في أقرب جون جنبي.. جون مين بقى مش مهم. وبالرغم من كل التسهيلات دي برضه ماكنتش بجيب أجوان، والمرة الوحيدة اللي ممكن أكون جبت فيها جون، ماحسبهوش! كانوا بيلاعبوني علشان يريحوني. عمر ما كان من اهتماماتي إني أشتري كورة مثلا. جايز لأن كان في واحد من صحابي مرة أخد الكورة بتاعته من نص الماتش وروح والفرقتين والجمهور شتموه، فخفت أشتري كورة لحسن مرة اضطر أروّح، فيشتموني ولو سبتلهم الكورة وروّحت من غيرها، أكيد هاتهزأ وأتشتم في البيت من أبويا. يعني في الحالتين هاتهزأ.. طب وعلى إيه؟ مش شاري كورة، بس اشتريت منفاخ، علشان أبقى أنفخ لهم الكورة

بتاعتهم لما تفسي.. أنفخ أحسن ما اتنفخ، لحد ما جه ماتش كل الناس قالت عليه مهم، وده كان سنة ١٩٨٩ وأنا الوحيد اللي ماعرفتش مهم ليه! ولما سألت، قالولي ده ماتش مصر والجزائر للدخول في كأس العالم. فرحت جدًا علشان الشوارع هاتبقى فاضية وممكن أنزل اعمل كام مشوار بعيد عن الزحمة، ونزلت فعلا، بس ماعرفتش أخلص ولا مشوار، لأن كل اللي كنت رايح لهم كانوا بيتفرجوا على الماتش. تقريبا أنا المجنون الوحيد في مصر اللي كنت ماشي لوحدي في الشارع. قعدت على قهوة في شارع التحرير أشرب شاي وكانوا كل زباين القهوة باصين جوه القهوة في اتجاه التلفزيون، ماعدا أنا، أنا الوحيد اللي كنت باصص ناحية الشارع الفاضي، كأني مجنون قاعد على القهوة. بقالي ربع ساعة طالب الشاي وماجاش.. لفيت رقبتي وخطفت نظرة جوة القهوة لاقيت الكل متسمر في كرسيه، حتى القهوجي شايل الصينية عليها كباية الشاي بتاعتي ومتسمر في مكانه، النظرة اللي خطفتها للقهوة، صادفت أنها كانت في نفس زمن هجمة في الماتش، كان بيهاجمها لاعب مش عارف اسمه.. بس فجأة كده ومن غير سبب، طالت نظرتي، ودق قلبي بخوف مش عارف سببه ومرت دقايق في دقايق، ورقبتي في نفس اتجاهها، وقلبي عمال يدق زي قلوب كل الزباين.. لحد ماجه الجون واتحول الخوف اللي جوايا لرغرغة اتكسفت منها، بس لما لاقيت القهوة كلها رغرغت، رحت مرغي وراح الكسوف من عيني وزادت رغرغتها. حضنت ناس ما أعرفهومش، وبوست ناس عمري ما كنت أفكر أبوسهم، وأخيرا القهوجي اتحولت كل تقاسيمات وشه القلقانة لابتسامة كشفت عن ضرس العقل المسوس في بقه، وأخيرًا اتحرك وجابلي الشاي اللي

اكتشفت إنه ساقع جدا بعد ماشربته وما حاسبتش عليه.. مش لأنه ساقع أو لأني زوغت من الحساب.. لأ.. لأن القهوجي مارضيش ياخد حسابه. اكتشفت إني ماعرفتش أنهي النظرة اللي خطفتها جوة القهوة واللي كان زمنها زمن الماتش، وحسيت إني رقبتي وجعتني من كتر ما طالت نظرتي. بس وجع له معنى.. وجع الخوف اللي بيحلي الفوز، وعرفت يومها إني جايز ماكونش كروي، بس أكيد مصري ماعندوش أي تردد في إن رقبته تتكسر علشان مصر تكسب. وبعد عشرين سنة وفي سنة ٢٠٠٩، مصر والجزائر تاني.. وكل حاجة زي ما هي.. القهوة زي ما هي.. لا بقت محل موبايلات، ولا فيديو جيم، والقهوجي شعبان زي ما هو وضرس العقل بتاعه زي ما هو، لا خلعه ولا حتى حشاه، وشارع التحرير زي ما هو لا طال ولا قصر، ومصر أم الدنيا غلبت الجزائر.. فاضل بس إن رقبتي توجعني.. وهو ده اللي أنا بعمله دلوقتي.. باكتب المقال وأنا باصص ورايا.. مصر هاتكسب!

٢٨ حرف

أ ـ أبدأ بسم الله الرحمن الرحيم كتابة مقال أسبوعي..

ب ـ بداية من النهارده.. اللي هو

ت ـ تقريبا كل يوم أربع..

ث ـ ثابت من كل أسبوع..

ج ـ جايز أكون

ح ـ حابب موضوع الكتابة ده.. أو جايز أكون

خ ـ خايف.. أصلي عملت لنفسي امتحان زي مانتو شايفين، امتحان حروف أبدأ بيها الكلام.. وأشوف ياترى الكلام هايكون زي العجينة بين إيديا ولا هايكون زي الصخر اللي بيكسره مسجون محكوم عليه بالإعدام وأصرف نظر عن موضوع الكتابة ده خالص..

د ـ ده اللي هاعرفه دلوقتي لما أوصل لحرف «الذال».

أصله حرف صعب لما تبتدي بيه الكلام.. فمن أجل

ذ ـ ذلك، عملت الامتحان اللي واضح إني عديت من أصعب حاجة فيه وهو الحرف اللي فات وآديني داخل على الحرف اللي بعده..

ر ـ رابعا.. على اعتبار أن ما فات كان أولًا وثانيًا وثالثًا..

ز ـ زي مانتو شايفين بحاول أنجَّح نفسي في الامتحان.. أصلي حابب أكتب.. ومش عارف هاكتب في إيه!!

س ـ سياسة!! جايز..

ش ـ شماتة.. مستحيل..

ص ـ صدق.. أكيد..

ض ـ ضروري هالاقي

ط ـ طريق.. وبالرغم من إني كنت

ظ ـ ظانن إن الموضوع سهل، أو إن الامتحان سهل وده مش باين.. إلا إن أنا لسة

ع ـ على إصراري في الكتابة حتى آخر حرف.. رغم خوفي من بعض الحروف..

غ ـ غموما (أقصد عموما.. معلش عادوهالي لصعوبة إيجاد كلمة

.. مانا برضه مش لازم أجيب مية

ف ـ في المية في الامتحان اللي عملته لنفسي ده..

ق ـ قد اقتربت من النهاية. ولم أفقد الأمل، ولكنني وجدت أن

ك ـ كتابة مقال

ل ـ ليس بالشيء السهل أو البسيط.. ده ربما يكون

م ـ مستحيل.. المهم..

ن ـ نرجع مرة تانية للي باكتبه.. حاسس إني خدت قراري خلاص.. مش هاكتب.. الامتحان حقيقي صعب.. أصلي مش عارف..

هـ ـ هاكتب إيه!

و ـ ولهذا..

ي ـ يؤسفني أن أقول لكم كده.. لكن الـ... الـ.. إيه ده.. أنا وصلت

للحرف الأخير.. أنا خلصت الـ ٢٨ حرف.. أنا عديت

من الامتحان.. أنا هاكتب.. هاكتب.. هاكتب.. هاكتب!

كيس السعادة(*)

والآن ماذا أكتب؟ أو بمعنى أدق.. بماذا أبدأ؟

بالرغم من أن عدد الكلمات العربية آلاف مؤلفة وليس لها حصر، إلا أنها من أصل ٢٨ حرف.. أي كلمة عربية هاتقولها أو عايز تقولها أو لسّة مافكرتش تقولها أو حتى هاتخترعها لازم تكون من أصل الـ ٢٨ حرف.. سواء بقى كانت كلمة شكر أو شتيمة أو كلام صحيح أو مغلوط، كذب أو صدق، كره أو حب، شرف أو خيانة، علم.. جهل.. فوز أو خسارة، حرب أو سلام، مع أو ضد.. فوق أو تحت، نار أو جنة، شباب أو شيخوخة، كل الكلام كل الكلام لازم يكون من أصل الـ ٢٨ حرف.

لكني سأبدأ بحروف ثلاثة، لو اجتمعت لكونت أجمل كلمة محببة إلى قلبي وإلى قلب كل مصري. سأختار من بين الحروف الثمانية والعشرين ثلاثة أحرف (الميم ـ الصاد ـ الراء).. مصر.

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢٥ من نوفمبر ٢٠٠٩.

قالت لي أمي ذات يوم إنني ولدت في كيس بلاستيكي، وعندما سألت متخصصًا عن هذا الأمر فقال لي: إن من يولدون في مثل هذه الأكياس يتمتعون بحظ وسعادة في حياتهم، ومن هنا بدأت أنسب كل الأمور السعيدة في حياتي إلى هذا الكيس الذي خلقني الله فيه، ونزلت به من رحم أمي.. مثل فرحتي بعجلتي الجديدة التي اشتراها لي أبي، أو سعادتي بفيلم أبيض وأسود أشاهده في اليوم المفتوح يوم الأحد لعبد الحليم حافظ، وعندما كان يحدث شيء غير سعيد في حياتي مثل سقوطي عدة سنوات في الثانوية العامة، فكنت أقول: ربما كان الكيس مخروما أو شيئا من هذا القبيل، وعندما كانت تتزايد لحظات الحزن، كنت أظن أن أمي كذبت عليَّ، وأني لم أولد في كيس السعادة، وتروح الأيام وتأتي.. بين أيام سعيدة وأخرى حزينة، ويظل اعتقادي بهذا الكيس يتأرجح.. هل هو جالب للسعادة أم لا؟ هل كان له وجود أم لا؟! حتى أقسمت لي أمي إنني ولدت به، فجلست أفكر مليا.. ربما تكون هذه السعادة البسيطة ليست هي المقصودة، وأنه ربما يكون المقصود سعادة أكثر عمقًا.. حتى أدركت وعرفت وتأكدت.. أن السعادة الحقيقية التي ظللت أبحث عنها لسنوات طويلة هي أنني «مصري».. سعادتي هي كوني مصريا.. أعيش بروح مصرية ليس لها مثيل.. أحب المصريين، كل المصريين. هنا أدركت عظمة ما قاله مصطفى كامل: «لو لم أكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا»، ولو سمحتوا لي أن أحرّف في بعض كلمات المقولة لأقول: «لو لم أكن مصريًا لما وددت أن أكون موجودًا».. هذا الكيس جلب لي السعادة، وجعلني مصريًا.. أحب الأسود لأنه كان الظلام الذي عشته في رحم أمي المصرية، أحب الأبيض لأنه النور الذي رأيته في هذا الوطن،

وأحب الأحمر لون دمي، الذي لا أتردد أن يراق كله فداءً لحبة رمل في بلدي.. أحب الميم لأننا مصريون، والصاد لأننا صابرون، والراء لأننا راضون.. نعم.. نحن مصريون صابرون راضون.

كم أكون مشفقا على هؤلاء الذين لا يرون جمال المصريين، وإن كنت لا تعرف من هم المصريون، دعني أخبرك. ليس عن تاريخهم الذي يملأ آلاف الكتب، ولا عن حضارتهم التي تمتد إلى آلاف السنين، بل عن صفاتهم. دعني أخبرك عن نفوسهم وأرواحهم التي تشبه الماء، نعم، المصريون كالماء. صافون ترى ما بداخلهم دون مجهود، وإذا كنت ترى أن الماء ليس له طعم أو لون أو رائحة.. فعليك أن تعرف أن هذا من معجزاته، أن يخلقه الله بلا لون أو طعم أو رائحة ويجعل منه كل شيء حي. إنه سر الحياة.. لو امتنعت عنه لمت عطشًا. دعني أخبرك عن لونهم القمحي كسلاسل الرمال الناعمة.. نعم.. المصريون كالرمال الناعمة. دعني أخبرك عن قلوبهم البيضاء.. المصريون لهم قلوب بيضاء كالجبس الأبيض.. نعم.. المصريون كالجبس.. هل تعرف الجبس؟ دعني أخبرك عنه.. إنه هذا الشيء الناعم الرقيق ذو الذرات البيضاء متناهية الصغر التي لو تحدثت بالقرب منها، ربما يتناثر نصفها، ولكن إياك أن تراهم غير ذلك، إياك أن تظن أن صفاتهم الجميلة ما هي إلا ضعف.. هنا لن أتهمك بأي شيء آخر إلا بالغباء، وسأوضح لك. سأقول لك أجمل ما يتمتع به المصريون لحظة الشدة.. إليك ما يفعله هؤلاء الصافون القمحيون الناعمون إذا ما اقترب أحد من أمهم، هل تعرف ماذا يفعلون، يتحدون، يتشابكون، يمتزجون ويختلطون. هل تعرف ماذا يحدث إذا ما اختلط الماء بالرمل بالجبس؟ يصبح حجرًا قويا،

وبمنتهى السرعة يصبح صلبًا لا يقوى أحد على تفتيته. هل تتخيل حجرًا بحجم ثمانين مليون مصري؟ نحن مختلفون، ولكن عندما نختلط نصبح شيئًا واحدًا صلبًا، عندئذ يختفي الماء بصفاته ولا يبقى الرمل على لونه، ويتحول الناعم إلى خشن. لن ترى إلا حجرًا يهبط عليك، ووقتها لن يكون لديك ما يكفي من الوقت لتقول يا ليتني فهمت كنه الأشياء.. لأنك ستصبح أنت والأرض سواء.

هذه رسالة لك يا من لا تعرف كنه الأشياء، نحن المصريون.. الفراعنة في الحضارة والصفات، نحن أصحاب الأهرامات، أبو الهول يسكن عندنا، نحن الفراعنة.. إن اتفرعنا، فلن تجد من يوقفنا.

أنا وأخويا وميكي ماوس(*)

«قم للمُعلم وفِّه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا».

كثير من المقولات قيلت على ألسنة الحكماء والشعراء، هذا بخلاف ما ورد في القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية.. كلها تخص المُعلم وتقدره وتجعله يقترب من مكانة الرسل، وليس المُعلم هو من يقف فقط أمام السبورة في الجامعة أو المدرسة أو حتى في الكتاتيب، إنما المُعلم هو من يعلمني شيئًا، حرفًا كان أو سطرًا. ومن يُعلمك شيئًا فلا بد وأنه يملك شيئًا، شابًا كان أو شيخًا، صعلوكًا أو ملكًا، وربما تتعلم شيئا من شخص بسيط لا يمتلك علمًا ولكنه يمتلك زمنًا يحمل علمًا بالحياة، وليس من الضروري أن كل من يتحدث يُعلم يا معلم! لقد علمني أبي «التسامح» وعلمتني أمي «الاستماع لرأي الآخر والاستمتاع به» تعلمت من أخي الكبير «الاحترام» فاحترمته. تعلمت من أختي الصغيرة «العطف» فأصبحت صديقها الصدوق، علمتني زوجتي «الحب» وعلمتني ابنتي «الأدب». أعتقد أنك إن أردت أن

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢ من ديسمبر ٢٠٠٩.

تتعلم فلا بد أن تعرف حكمة خلقك بفم واحد وأذنين. وذلك لتسمع أكثر من أن تتكلم، وأعتقد أن الأذنين لم يخلقا لكي تسمع شخصين في نفس الوقت، ولكن لتسمع بشكل جيد وممتع (استيريو يعني).

فلنبدأ بعامية الكلام.. كنت قاعد مرة زمان مع أصحابي، وعلى حسب ما أنا فاكر، كنت باتكلم في موضوع ليه علاقة بالقراءة وقلت لهم: «أنا زمان كنت بقرة»، راحوا ضاحكين وهاها وهي هي ومئ مئ وواحد من اللي ضحكوا قال: «بيقول لك مرة زمان كان بقرة» قلت لنفسي: معذورين، ما هو لو كان الكلام بيتكتب زي ترجمة الأفلام كده في الهوا، والواحد بيقوله كانوا عرفوا إني أقصد: إني زمان كنت «بقرة» فعلا! أنا ماكنتش أقصد بأقرأ.. أيوه كان قصدي أقول «بقرة» أنا كنت بقرة، لأني ماكنتش بأقرأ.. بأقرأ يعني.. علشان ماحدش يقرأها غلط تاني.. بس هما الحقيقة ماستنوش لحد ما أكمل الجملة.. المهم أنا دلوقتي الحمد لله حاسس إني مش بقرة، لأني بقيت بأقرأ طيب ويا ترى إيه اللي غيّر حالي من بقرة لـ«بأقرأ»؟ أحكي لكو.. إحنا تلاتة سكر نباتة. أنا وأخويا وأختي، طلعت لاقيت نفسي وسطانيًا بينهما لا أوصف بالكبير ولا بالصغير. ومرة زمان برضه.. أمي قالت لواحدة صاحبتها وهي بتعرفها علينا «ده بقى ابني الكبير، غاوي قراية، اسم الله عليه، ربنا يُحرسه.» طب وأنا إيه؟ أنا مش غاوي قراية.. ربنا مايحرسنيش يعني؟! ماشي يا ماما.. وبعد اللي قالته أمي ده. قررت أقرأ علشان ربنا يحرسني زي أخويا الكبير اللي بيقرا، وأدعي لأختي الصغيرة إنها لما تكبر وتبطل تصغر إن هي كمان تقرا علشان ربنا يحرسها زينا. وابتديت مشوار القراية.. اشتريت مجلة ميكي وخلصتها كلها في نفس اليوم، وكان كل ما يصدر عدد أشتريه وأقراه، وزادت المجلات وزادت رغبتي في نهم

العلم وبقت مجلة ميكي ما بتكفينيش فبقيت أشتري مجلدات لميكي وأقراها. القراية استحوذت على كل وقتي، ولأن مجلد ميكي كان كبير وماكنتش باعرف آخده معايا في أي مكان. اتجهت لميكي جيب اللي مابقتش تفارق جيبي أبدا، ضيعت فلوسي وسنوات صباي في تلقي العلم «الميكاوي» والتبحر في عالم ميكي ماوس. هجرت العجلة والتلفزيون والأصدقاء.. ومن كتر حبي في ميكي، كنت بانام على المخدة ووداني في عكس اتجاهها الطبيعي، علشان تطرطق لبرة وتكبر وتبقى زي ودان ميكي. وحصل فعلًا.. وداني طرطقت وكبرت واحلوت وبقيت شبه ميكي ماوس! نظري ضعف من كتر القراية وحسيت إني حصنت نفسي بكم هائل من الثقافة، صحيح لما كان حد يسأل مثلا عن تعداد سكان ماليزيا أخويا اللي ربنا حارسه هو اللي كان بيجاوب وأنا لأ، أو ما هي عاصمة الهند؟ أخويا برضه يجاوب، وأنا لسة زي ما أنا.. لأ.. بس زي ما أنا ماكنتش باعرف أجاوب، هو كمان لا يمكن كان هايعرف يقولي ليه ميكي على طول بيزعق لبندق، وليه بطوط بيتغاظ من محظوظ مع إنهم هما الاتنين بط، أو ليه دنجل لابس فانلة مخططة. صحيح ما حدّش بيسأل الأسئلة دي بس أكيد هاييجي يوم وتتسأل، لحد ما جه يوم فعلًا، بس يوم أسود غيَّر كل مفاهيمي. كان فرح بنت خالتي وفرح كان فيه مطرب مغمور شافني وقال لصاحبه اللي كان واقف جنبه: «بص.. الولد ده شبه ميكي ماوس». يااااه.. أخيرًا حد خد باله.. فرحت جدا.. لكن يا فرحة ما تمت! المطرب ده طلع بيتريق عليا، مش فخور بيا، حطمني، حسيت إن وداني دلدلت لتحت وكنت عايز أقطعها وأرميها للسمك في النيل، أصل الفرح كان في مركب نيلية. روحت بيتنا وقطعت كل مجلدات ميكي وكرهت القراية بسبب هذا المطرب المغمور. كان نفسي تكون

دقني بتطلع، علشان اكتئب وأربيها بس كنت صغير ومابتطلعش، وبعد وقت عديت من الأزمة ونظفت العجلة ورجعت لأصحابي من جديد وسألت نفسي: هو أنا كنت غلطان علشان كنت باحاول أقرا وما أبقاش بقرة؟ ومالقتش إجابه سؤالي حتى عند أخويا اللي غاوي قراية. ومرت سنين اتعلمت فيها حاجات كتير من ناس كتير أقف لهم الآن تبجيلًا واحترامًا زي الأستاذ نور الشريف مثلًا، لقد علمني «القراءة» دون أن يقصد. قابلته ذات يوم، ولا أعتقد أنه يتذكر متى وأين، كان في مكتبة، لم أكن معروفا أبدا، وكان هو معروفًا طبعا علشان كده فاكره، كان يريد ثلاثة أولاد في العشرينيات ليمثلوا في فيلم «أولى ثانوي» وكنت واحدا من هؤلاء الثلاثة، ولكن لم يقع عليا الاختيار، لأنه كان عايزهم حديثي السن يعني لسة شنباتهم ودقونهم مانبتتش، فلعنت دقني اللي وقت ما أعوزها علشان اكتئب بيها تكون مابتطلعش ووقت ماعوزهاش تطلع!

علمني أستاذ نور شيئا بكلمة قالها لي: لو بتحب التمثيل لازم تقرأ، وخصوصا لنجيب محفوظ لبراعته في وصف شخصياته، ولم تختف يوما كلمات نور الشريف من أذني كلما قرأت كلمات نجيب محفوظ.

علمتني ثناء منصور «الحفاظ على النجاح» عندما لم تجعلني أقدم برنامجا آخر للأطفال كنت أراه جيدا، وكانت لا تراه كذلك، وأدركت أنها كانت على حق الحق.

علمني عادل إمام حاجة مهمة جدًا في الحياة اسمها «قوة الرفض»، لما قال لي: ما أصعب أن تقول لا، وأنت في أشد الحاجه لقول نعم.

علمني أحمد زكي «سرًا» من أسرار التمثيل، لن أبوح به ليبقى سرًا.. ليس خبثًا، ولكن حبًا في أن يبقى سرًا.

علمني المخرج يسري نصرالله في مناقشة معه أن «أبحث دائمًا عن الحقيقي» بداخلي، لأن المخرج لا يستطيع أن يصل له أبدًا إلا إذا وصل له صاحبه.

تعلمت من كل الظروف حولي.. بحثت في صفات البشر عن شيء أتعلم منه، تعلمت من المريض «نعمة الصحة»، ومن المساجين «حلاوة الحرية».. ومن المحتلين «ضرورة الاستقلال»، ومن الموتى حين أنظر لهم ماذا تعني «قيمة الحياة»، تعلمت من المجرمين أن «الشرف منقذ»، علمني الضمير أنه خُلق «للإخلاص»، وأن أخلص في عملي حتى ولو كان مقابله قليلا، علمني الأمل معنى «الرضا»، فوجدت نفسي أحصل على أكثر مما كنت أريد أن أتصوره.. تعلمت وتعلمت.. ما تركت شيئًا حولي: جيدًا كان أو سيئًا، سلبيًا أو إيجابيًا، إلا وأردت التعلم منه.. حتى هذا المطرب المغمور الذي حطمني، تعلمت منه شيئًا اسمه «القوة»، وأن لا أترك ما أحب حتى الموت، حتى ولو كان ميكي ماوس الذي ليس له أي علاقة بعدد سكان ماليزيا، أو عاصمة الهند. أشكر أمي التي ذبحت بقرة الجهل داخلي حين دعت لأخي بأن ربنا يحرسه فجعلتني أبحث عن ما يفعله لكي يجعل الله يحرسه فيحرسني مثله، أشكر أخي الذي علمني كم يكون عدد سكان ماليزيا وأشكره أيضا على تصحيح معلوماتي حين أخبرني أن ميكي لا يكره بندق، ولكنه يحتد عليه أحيانا لأنه يريد أن يُعلمه، فعلمني ميكي الفرق بين الكره والحب.

كابينة خمسة(*)

هاحكيلكو حكاية مُوجزة وسريعة جدًا، كُنت عايش في بنها حيث المجتمع البنهاوي والناس البنهاوية الطيبين الهاديين. دخلت معهد الفنون المسرحية في الهرم وكان خط سيري اليومي، بنها ـ أحمد حلمي (الموقف طبعًا)، وكانت وسيلة المواصلات هي الميكروباص، وكانت الأجرة وقتها اتنين جنيه رايح وزيهم راجع، ولما أوصل موقف أحمد حلمي كنت باعدّي من محطة مصر علشان أروح موقف رمسيس وبعد كده أركب من رمسيس ميكروباص علشان أروح الهرم والأجرة كانت وقتها ستين قرش رايح جاي.. يعني مواصلات بس ١٢٤,٨٠ جنيه في الشهر ده من غير أي ساندوتشات أو حاجة ساقعة. تعبت جدا، مش من المصاريف؛ لأني مش أنا اللي بصرف.. أبويا اللي كان بيصرف، تعبت من السفر فقررت آخد شقة مفروشة وأقعد فيها مشاركة مع أي واحد متشحطط زيي.. المهم لاقيت الشقة وكان فاضل ألاقي المتشحطط اللي هايشاركني فيها.. ولاقيته.. بس كانت الشقة ضاعت، يعني معقولة

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٩ من ديسمبر ٢٠٠٩.

كده؟! يوم ما ألاقي الشقة ماألاقيش المتشحطط. وأما ألاقي المتشحطط ماألاقيش الشقة! المهم لاقيت متشحطط تاني من الزقازيق، فمسكت فيه بإيدي واسناني واتشحططنا احنا الاتنين على مالاقينا شقة تانية. كنت مسئول عن نفسي مسئولية غير كاملة يعني أنيم نفسي، وأصحي نفسي، لا كان حد بيحكيلي حكاية وينيمني، ولا حد بييجي يطبطب عليا ويصحيني. وفرت لأبويا ١٢٤,٨٠ جنيه فلوس المواصلات بس كنت باخد منه ٥٠٠ جنيه إيجار الشقة. ده غير مصاريف أكلي وفسحي وفلوس السنترال لما كنت بكلمهم في بنها. أصل ماكانش في موبايلات وقتها، حتى لو كان في أكيد كنت هاخد فلوس الفواتير برضه، كل ده بالرغم إن الحالة المادية في الأسرة لم تكن على ما يرام، وكانت نخوتي وإحساسي بالآخرين وقتها أيضا لم يكونا على ما يرام، وتوطدت علاقتي بعامل السنترال خلال سنوات دراستي الأربع في المعهد. لما كنت في سنة أولى معهد كان بينادي ويقول: «اللي طالب بنها يدخل كابينة خمسة»، إلى أن وصلت إلى البكالوريوس فأصبح نداؤه: «حلمي ادخل كابينة خمسة وسلم لي عليهم»، تطورت علاقتي بكل شيء ما عدا كابينة خمسة التي لم تتغير على مدار الأربع سنوات. كان ناقص يكتبوها باسمي! اتخرجت من الأكاديمية. وفي يوم من الأيام دخلت كابينة خمسة لأتحدث مع والدي لأطلب منه فلوس كالعادة مستغلًا إحراجه مني وغير عابئ، أو بمعنى أدق متناسيًا حالته المادية، وكان على خلاف معي لأنني أنهيت دراستي وما زلت أحمله مصاريف معيشتي في القاهرة وهو يريد مني العودة إلى بنها. وأنا لا أريد لأن النداهة ندهتني.. جهزت نفسي لمناقشة أعرف أنها ستكون حارة بيننا بسبب إنه عايزني أرجع بنها، المهم حطيت السماعة على ودني المطرطقة وسمعت رنين

التليفون في السماعة ورد والدي على التليفون، ولكني لم أسمع صوته بل سمعت تكبيره وهو يقول: «الله أكبر» فعرفت أنه يُصلي ولكنه رفع السماعة لأنه يعرف أنني أنا المُتصل بسبب رنة الترنك الطويلة. خرج عن خشوعه ورفع السماعة وهو يصلي خوفًا من أن يظل التليفون يرن ولا أحد يجيب فأغلق الخط ولا أعاود الاتصال مرة أخرى.. انتظرت على السماعة حتى يفرغ من الصلاة فسمعت أثناء انتظاري مكالمة بجواري في كابينة أربعة بين شخصين، لم أسمع منها طبعا إلا حديث الطرف الذي كان بجواري في كابينة أربعة، ووجدت نفسي أسرح معها متخيلًا ردود الطرف الثاني، وكانت المكالمة كالآتي:

كابينة أربعة: أنا قبضت تلتميت جنيه. مرتب الشهر.

التاني: تلتميت جنيه؟؟ ليه!! أنت موظف ولا رجل أعمال؟

كابينة أربعة: أنت بتتريق؟ ده أنا مش عارف أجيب بيهم إيه.

التاني: مش عارف ليه؟

كابينة أربعة: أنا أهو وأنت أهو.. تف على وشي لو عرفت تجيب بيهم حاجة.

التاني: طب اهدى بس وقول لي.. أنت مصاريفك إيه؟

كابينة أربعة: مبدئيًا ماكُلش لحمة لأنها بتجيب نقرس، ولا جمبري لأنه بيعلي الكوليسترول، وما بشربش سجاير لا مصري ولا مستورد لأن التدخين ضار بالصحة، وما بشربش مية معدنية لأن مية الحنفية مستورة والحمد لله.

التاني: طب عايز عربية؟

كابينة أربعة: بحب المشي علشان كده مش عايز عربية ولا حتى عجلة.

التاني: طب اركب أتوبيس.

كابينة أربعة: أنت مابتفهمش؟ بقولك بحب المشي! ده غير إني مقاطع كل المنتجات الأجنبية علشان أنا متدين.

التاني: طيب تحب تروح سينما؟

كابينة أربعة: بقولك متديييين.. وأصلًا كل الأفلام هايفة.

التاني: خلاص.. روح مسرح.

كابينة أربعة: مافيش غير مسرحيتين في السوق.. لأحمد آدم وسمير غانم.. وأنا مابحبش الاتنين.

التاني: خلاص خش مسرحية عادل إمام.

كابينة أربعة: كل لما أروح أحجز مالاقيش مكان.

التاني: طب مش محتاج تكييف مثلًا في البيت؟

كابينة أربعة: التكييف بيكسر العضم.

التاني: طب مراتك وعيالك مش عايزين حاجة؟

كابينة أربعة: هو حد فيهم يستجري يعوز حاجة.

التاني: طيب مانت أهو اللي مش عايز حاجة بالفلوس.

كابينة أربعة: أنت هاتستهبل! مانا اللي قايلك تف على وشي لو عرفت تشتري بيهم حاجة!

وانتهت المكالمة.. وأنا سرحان في اللي سمعته. معقولة يكون في موظف بياخد تلتميت جنيه في الشهر؟ طب بيكفوه ازاي؟ تلتميت جنيه موظف مرتب.. قصدي مرتب موظف.. أنا كمان أبويا موظف، معقولة ممكن يكون بيقبض كده وأنا رايح جاي أطلب منه فلوس! بصراحة صعب عليا.. ثم جاء صوت والدي الدافئ الحنون فأخرجني من تركيزي الذي شرد مع المكالمة المجاورة في كابينة أربعة.

قال لي: إزيك يابني وحشتني لاقيت نفسي بكذب وبقوله أنا اشتغلت يابابا. وبألف جنيه في الشهر.. فرد وصوته كله فرحة وقال لي: بجد؟ ألف مبروك يابني، الحمد لله الحمد لله. كان فرحان علشان أنا اشتغلت مش علشان هارحمه من المصاريف.. سألني وقال لي: كنت عايز حاجة؟ قلت له لأ أنا بس كنت عايز أقولك حرمًا، فقال لي جمعًا يا سيدي. قفلت السكة ولاقيت نفسي بسرح تاني لوحدي في كابينة خمسة، وعرفت ليه أبويا بيسيب نصيبه في اللحمة اللي بتجيبله نقرس، وما بيحبش يجيب جمبري لأنه بيعلي الكوليسترول، ومبيشربش سجاير لأن التدخين ضار بالصحة وبيحب المشي مع إن رجليه وجعاه، ومقاطع كل المنتجات الأجنبية علشان غالية.. قصدي علشان متدين.. وفهمت السر ورا عدم حبه لأحمد آدم وسمير غانم مع إنه كان معجب بالقرموطي في سر الأرض.. ده غير قهقهته على سمير غانم في مسرحية «المتزوجون»! شكيت أن يكون اللي كان بيتكلم جنبي في كابينة أربعة هو أبويا، بس مستحيل

لأني كنت سامع صوت تكبيره في الركوع والسجود. عرفت أن أبويا مرتبه على قده، ما يفرقش كتير عن الراجل اللي كان بيتكلم جنبي.. طيب ازاي احنا عايشين؟ ويا ترى عايشين بالتلتميت جنيه ولا عايشين بالستر ولا عايشين ببركة دعاء الوالدين؟ في ناس بتبص للتلتميت جنيه على أنهم «ستميت نص جنيه»، وناس تانية بتصبر نفسها أكتر وبتبص للتلتميت جنيه على أنهم «ألف ومتين ربع جنيه»، ده غير بقى اللي شايفينهم «تلات تلاف عشرة صاغ»، وغيرهم شايفينهم «ست تلاف خمسة صاغ».. وفي بقى اللي شايفينهم «تلاتين ألف قرش».

أنا مش عارف هي الناس طماعة ولا إيه!! لما يبقى في موظف مرتبه «تلاتيييين ألف قرش» في الشهر..عايز إيه تاني؟ أقولك حاجة ياللي بتاخد تلتميت جنيه في الشهر لو حد سألك بتاخد كام في الشهر، ابقى قوله تلاتين ألف واسكت أو اقفل السماعة قبل ما تقول كلمة «قرش» لأنك مش هتعرف تكدب عليه وتبدل القرش بجنيه. أصل لو ليك في الكدب، كان بقى مرتبك فعلًا تلاتين ألف جنيه.

الله يرحمك يا والدي.

السقيط(*)

اللي ليه نصيب في حاجة بياخدها. ليك نصيب تخسر مليون جنيه هاتخسرهم، ليك نصيب تكسبهم بعد ما خسرتهم هاتكسبهم. أنا كان نصيبي أخلل في الثانوية العامة. تلات سنين سقوط، كنت باقعد أعيط علشان بسقط، بسقط ليه؟ ليه؟ هو أنا غبي؟ لأ أنا مش غبي أنا عارف كويس إني مش غبي، أنا ذكي وذكي جدا كمان. طيب بسقط ليه بقى؟! قعدت أدور على السبب اللي بيخليني أسقط.. وبعد تفكير طويل، عرفت إيه السبب، أيوه عرفته، أنا بسقط علشان مابذكرش.. أيوه صح.. علشان مابذاكرش يااااااااااه.. أخيرًا عرفت السبب.. إيه الغباء ده؟! ده أنا غبي أوي.. إيه؟ غبي!! واحترت تاني.. لحسن أكون بسقط علشان أنا غبي مش علشان ما بذاكرش. تلات سنين قاعد على مكتبي في أوضتي ووشي في الحيطة بحاول أذاكر.. لما كرهت نفسي وكرهت المذاكرة وكرهت الحيطة اللي كنت واثق أنها لو دخلت الامتحان بدالي كانت هاتنجح. شكيت إن جايز يكون لون

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٦ من ديسمبر ٢٠٠٩.

الحيطة المدهونة أبيض مش مساعدني على التركيز.. فدهنوهالي أخضر، بس الأخضر حَسسني إني قاعد قدام سبورة الفصل، مش معقول هابقى الصبح وبالليل في الفصل، فكان بديل الأخضر هو الأصفر. الله على الأصفر وإشراقه في الأوضة، أيوة كده، حاسس إن الشمس مابتغيبش من أوضتي.. بس لحد إمتى؟ الساعة بتبقى تمانية بالليل ولسة الأوضة في عز الضهر، وأنا الحقيقة بحب أذاكر بالليل.. لا.. لا.. الأصفر ده مش لوني! لاقيتها.. هو الأزرق، قشطة، خش على الزرقان. وادهنت الأوضه أزرق. يا سيدي على الليل وسحره وجماله وهدوءه وتركيزه، ده من كتر إيحاءه كنت أحيانا أسمع دوشة عيال في الشارع فأطلع علشان أزعق لهم فاكتشف إننا الضهر مش بالليل. عشت شوية مع الأزرق لحد ما حسيت إن من كتر زرقان الأوضة بيكبس عليا النوم واحنا لسة الضهر.. ماهو ليل بقى طول النهار.. طيب والحل؟! بيتهيألي بما إن الأصفر بيصحصح والأزرق بينيم، أنا أديها وش أصفر في أزرق، وقد كان. الأصفر والأزرق اداني أخضر. يادي النيلة الخضرا.. سبورة تاني.. أنا عايز لون حماسي وسخن كده، يسخني على المذاكرة وماقلكوش بقى الأحمر عمل إيه.. كوابيس كوابيس رهيبة.. كنت بحلم إني في جهنم وبتعذب بسبب سقوطي المستمر. بعد الأحمر الحقيقة السنة كانت خلصت وسقطت طبعًا لأني ضيعت السنة في دهان الأوضة.. وابتديت السنة الجديدة بلون جديد خالص «الأسود» دهنت الأوضة أسود علشان تمشي مع الأيام السودة اللي أنا فيها دي، بس برضه غيرته مش بسبب إنه مش عاجبني لكن لأنه الأسود بيضيق الحاجات فحسيت إن الأوضة اضيقت جدًا.. ده غير إنها أصلًا ضاقت من

كتر الدهان، وزي ما احنا عارفين إن الأسود بيضيق. عارفين طبعًا إن الأبيض بيوسع. فأوسعت الأوضة تاني ورجعت زي ما كانت في الأول بلونها الأبيض زي ما أنا في المناهج أبيض.. طب أعمل إيه؟ نصيبي إني مابحبش المذاكرة وبسقط.. ذاكرت في كل حتة في البيت، في أوضتي وفي كل الأوض، حتى السطوح ذاكرت فوقيه لاقيت نفسي من غير شعور بسيب المذاكرة وأجري ورا الفراخ. قلت طيب أجرب أروح أذاكر في النادي. خدت الكتب والورق وقعدت على ترابيزة في الشمس باصة على ملعب كرة القدم وكان في عيال بتلعب كورة والشيطان شاطر.. قلت لنفسي واضح إن نصيبي ألعب كورة بس ضميري أنبني.. قلت معقولة يكون الشيطان شاطر وأنا مش شاطر وبسقط؟ لا.. إن كان هو شاطر فأنا لازم أكون أشطر منه وإن كان هو نجح إنه ما يدخلش الجنة أنا هانجح وأدخل الجامعة. رحت قايم وقاعد على الكرسي اللي قدامي وبقى ضهري لملعب الكورة ولسة هابتدي مذاكرة جم شوية هوا طيروا الورق من على الترابيزة وقعدت أجري ورا الورق أمسكه.. يا ربي! يعني هو أنا مكتوب عليا أجري ورا الفراخ فوق السطح وورا الورق في النادي! لميت كل الورق وكان فاضل ورقة واحدة مش لاقيها بصيت حواليّه لاقيت الورقة الأخيرة في ملعب الكورة، رحت أجيبها ومديت إيديا علشان أمسكها جت الكورة ناحيتي ووقفت جنب الورقة والعيال كلها وقفوا وبصولي، كانوا مستنيين الكورة علشان يكملوا لعب، صعبوا عليا جدا فمسكت الكورة بإيدي اليمين ورحت رافعها في الهوا وشوطها حتة دين شوطة ولا فؤاد المهندس.. شوطة في شوطة في هيد في دبل كيك والحمد لله غلبنا تلاتة صفر.. تلاتة صفر..

يخرب بيت التلاتة على الصفر.. افتكرت الصفر في المية اللي جبته في تاني سنة سقوط، أنا أول واحد في مصر يجيب صفر في المية في ثانوية عامة.. نصيبي كده.. نجاح إيه ده اللي عايز ينجحه واحد زيي؟ واحد دهن أوضته عشر مرات وجاب صفر في المية.. ده أنا كان ناقص أدهنها مرهم. الصفر ده ما يدخلنيش حتى السجن.. سجن إيه بس؟ أنا هافول على نفسي ولا إيه!! أيوه أنا لازم أخش السجن بالصفر ده.. تفرق إيه انت عن أي مجرم؟

صحيح السجن مابيدخلوش إلا القاتل.. طب ما انت قاتل.. قتلت الفرص اللي كانت ممكن تكون قدامك لو كنت جبت مجموع.

ما بيدخلوش غير اللي بيسرق!! طب ما انت سرقت فرحة أبوك وأمك بنجاحك.

مابيدخلوش غير اللي اغتصب!! طب ما انت اغتصبت مكان واحد تاني كان هايكون قاعد على كرسيك في الفصل وجايز يكون أحسن منك.

ما بيدخلوش غير اللي بيحرق!! طب ما انت حرقت تلات سنين من عمرك اللي ربنا ادهولك علشان يبقى ليك لازمة.

ما بيدخلوش غير حد ظلم!! طب ما انت ظلمت نفسك.. مابيدخلوش غير المتظاهر!! طب ما انت اتظاهرت إنك كنت بتذاكر.

قلت لنفسي: كفاية كفاية.. وقلت لنفسي: طيب مش جايز يكون نصيبي إني أنجح بس أنا مفهم نفسي إن نصيبي أسقط.

زي ما أنا نصيبي دلوقتي إني أقول إن نصيبي أنجح وأنا مفهم نفسي إن نصيبي أسقط.. اخرس.. لأ مش هاخرس وهاجرب.. زي ما ممكن تخسر مليون ممكن تكسب مليون لو كان ليك نصيبك تكسبهم.. تصدقوني لو قلتلكو لما عملت كده كان نصيبي أنجح.. أيوه نجحت.. هيييه.. أخيرًا نجحت.. نجحت بمجموع خمسة وأربعين في المية.. أصلي كنت معفي من الفرنساوي علشان ماكنتش باخده في السعودية لما كنت عايش هناك.. أنا أول واحد في مصر برضه يجيب خمسة وأربعين في المية في ثانوية عامة وينجح. صحيح أنا جايب خمسة وأربعين في المية.. بس توازي خمسين في المية نصيبي كده، مش مهم نصيبي دلوقتي.. المهم تنسيقي.. مالاقتش ولا كلية ممكن تاخد مجموعي، وبعدين يا نصيبي رايح بيا على فين؟ لما قلت نصيبي السقوط سقطت، وأما قلت نصيبي النجاح نجحت. يا ريتني قلت نصيبي أجيب تسعين في المية.. يا ترى يا نصيبي هاتعمل إيه تاني فيا؟ مات واحد من عيلتنا.. نصيبه كده.. الله يرحمه، ونزل نعيه في الجرنان وأبويا قال لي روح هات الأهرام لما نشوف النعي مكتوب ازاي. اشتريت الجرنان وقرا أبويا النعي وبكى، أصله كان صاحبه وبيحبه وعزّينا كلنا وبرضه أبويا بكى، ورحنا الأربعين.. وأنا بحب السمك البلطي، نصيبي كده، وأمي بتعمله حلو جدا، نصيبها كده، اشترت أمي السمك وشوت اللي اتشوى وقلت اللي اتقلى، نصيب السمك كده، ورجع أبويا من الشغل لابس فانلته المونتوجت النبيتي وشايل خمس ترغفة أصل احنا خمسة ومحدش بياكل أكتر من رغيفه، نصيبنا كده، وجه وقت الغدا وفرشت جرنان على السفرة لاقيته جرنان العزا وعلشان ما فكرش أبويا بعزيزه اللي

اختفى.. وده وقت غدا مش بكا.. قلبت صفحة الأسى اللي فيها العزا، وابتدينا الغدا.. برقت فجأة أمي على حاجة في الصفحة اللي قلبتها.. افتكرتها شافت العزا مع إن الصفحه قلبتها.. قلت يارب ما تتكلم ده احنا ما صدقنا إن الموضوع اتنسى، زاحت رغيفي اللي كان مغطي جزء من مربع أسود مكتوب جواه كلام بالأبيض وابتدت تقرا بصوت سامعينه كلنا.. صوت ماما: إعلان: يعلن معهد الفنون المسرحية بالهرم عن قبول دفعات جديدة بمجموع يبدأ من خمسين بالمائة بأقسامه الثلاثة.. التمثيل والنقد والديكور.. وأنا ماكنتش بانجح إلا في امتحان قدرات الفنون والعمارة. ابتسمت ماما من حلاوة الأمل، وأبويا ابتسم ودعى ربنا بالشكر.. وأنا قريت الفاتحة على الميت اللي نصيبي معاه ابتدى.

غروق الشمس(*)

عم عفيفي.. مين عم عفيفي ده؟ عم عفيفي ده جزمجي كان عنده ماكينة خياطة جلود بتخيط جزم أو شنط أو أحزمة أو أي حاجة جلد.. وماكنش عنده دكانة، دكانته كانت الشارع كله والشارع اسمه «شارع الشعب». عم عفيفي كان بيتحرك مع ظل الشمس، مكان ما تلاقي ظل في الشارع تلاقيه قاعد ورا ماكنته من صباحية ربنا لحد المغرب.. مالوش مكان محدد.. لما تحب تدور عليه دور على الظل هاتلاقيه، أصله مامعهوش تمن شمسية يقعد تحتيها ده يا دوب وفر تمن الماكينة بالعافية. عم عفيفي شبه نجيب الريحاني في فيلم «لعبة الست»؛ غلبان ومناكف وتعشقه. الجزمة والحزام والشنطة هما كل حياته، تديله الجزمة علشان يخيطها فياخدها من إيدك من غير مايبصلك.. كان بيعرف انت مين من جزمتك.. بني آدم من أنهي صنف.

لو الجزمة كلاسيك ونضيفة يبقى أنت مدير أو موظف محترم.. فتلاقيه بيقولك يا بيه.

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢٣ من ديسمبر ٢٠٠٩.

لو جزمتك الشمال مشققة من عند البوز يبقى عندك عربية والدبرياج مشققهالك فيقولك يا باشا.

ولو جزمتك ميري يبقى أكيد التحية هاتكون تحت أمر سعادتك.

ولو جزمتك من غير رباط يبقى أنت مابتحبش حد يقيدك ففي الغالب هايقولك سيبها وتعالى خدها وقت ما تحب علشان مش هايبقى عايز يقيدك بميعاد!

ولو جزمتك ملونة يبقى أنت شخص مرح وبتحب الفرفشة.. فمافيش مانع من نكتة تطلع منه.

ولو جزمتك في نعلها آثار لطفي السجاير يبقى انت مُدخن فيعزم عليك بسيجارة على ما يخلصلك!

أنا أعرف إن في ناس بتقرا الفنجان وممكن تعرف هايحصلك إيه.. عم عفيفي كان بيقرا الجزمة.. من جزمتك كان يقيسك ويوزنك.. جزمة مقاس تسعة وتلاتين يبقى أنت قصير أوزعه وطولك يا دوب مية وستين، ولو خمسة وأربعين يبقى أنت طولك فوق المية خمسة وسبعين.. وأما بقى لو مركّب فرشة في جزمتك هايعرف إنك من أسرة فقيرة أو متوسطة أو اقتصادية.. أو إن أبوك بخيل اداك جزمة أخوك الكبير الواسعة عليك بعد ماضاقت عليه. عم عفيفي من جزمتك ممكن يعرف في جيبك كام وهاتدفع كام ومش هايطلب لأنه عمره ما طلب. ولو الشغالة هي اللي جايبة الجزمة يبقى صاحبها أقرع ونزهي وخايف الناس تشوفه وهو بيصلح جزمته عند الجزمجي. عم عفيفي ده حكاية.. الناس حفظت مكانه لما تبص للشمس وتعرف رامية ظل فين فيروحوا على الضلة

فتلاقيه قاعد وسط جزمه.. عم عفيفي بيغرب عن شارع «الشعب» مع غروب الشمس ويشرق مع شروقها.. ماحدش يعرف هو ساكن فين.. عم عفيفي كان معلق راديو في الماكينة مافيهوش غير محطتين: محطة القرآن الكريم ومحطة أم كلثوم.. وحافظ القرآن وكل أغاني أم كلثوم، والاتنين حافظين القرآن.. بس هي «كوكب الشرق» في العالم وهو «كوكب الشمس» في شارع «الشعب» بيسمع أم كلثوم وكأنها بتغنيله، ومرة قال لي إنه نفسه يصلح جزمة أم كلثوم فقلت له: وهو إيه اللي هايبوظ جزمة الست أم كلثوم يا عم عفيفي؟ أكيد لو اتقطعت هاترميها. قال لي: لأ.. أم كلثوم لو كانت بترمي جزمتها لمجرد إنها اتقطعت ماكانتش وصلت للناس بكلامها وصوتها وألحانها، أنا يابني مش بعرف حال الناس بس من جزمها، أنا كمان ممكن أعرف حال الجزم من ناسها، يعني أم كلثوم أو عبد الحليم لا يمكن يعملوا كده، بس انت عارف عبدالوهاب كمان لا يمكن يصلح جزمته. فقلت له: إشمعنا؟ ما هو كمان واصل للناس زيهم؟ فقال لي لأنها عمرها ماهتتقطع بس ممكن تدوب؛ اللي زي عبد الوهاب ممكن يعيش ميت سنة، أصله منظم فأكيد هايحافظ عليها. قلت له هي إيه؟ الجزمة ولا صحته؟ فقال لي: الاتنين.. اللي يحافظ على جزمته يحافظ على صحته.. واللي يحافظ على صحته يعيش كتير. عم عفيفي مالوش مالكة.. لا يمكن تعرف شخصيته.. مايحبش حد يعرف هو إيه أو مين أو ليه، علشان كده عمره ما لبس جزمة.

أنا مرة وأنا صغير كنت بصلح جزمتي عنده، وجه راجل ومعاه ابنه الصغير، كان شايل جزمته البني الصغيرة في إيده، وطلب أبو الولد من عم عفيفي إنه يصبغ له جزمة ابنه أسود.. عم عفيفي خد الجزمة

الصغيرة وبص فيها وقلبها من فوقها لتحتها من غير مايبص للراجل، بس الراجل حب يقول لعم عفيفي إيه السبب ورا تغير لون الجزمة من بني لأسود.. وقال له: أصلهم في المدرسة طالبين الجزمة تبقى سودا وأنا الحقيقة قلت أصبغها أرخص، ها تاخد كام؟ ما ردش عم عفيفي وبص للواد الصغير وابتسم له.. وقال له: انت في سنة ستة صح؟ الولد هز رأسه من فوق لتحت (بمعنى أيوة) عم عفيفي بص على جزمة أبو الواد فلاقاها من غير رباط فقال له: روح شوف وراك إيه وتعالى وقت ما تحب. الراجل قال له: لا أنا هافضل معاك لحد ما تخلصها، وهنا أدركت أن رؤية عم عفيفي للناس من خلال جزمهم خيبت المرة دي.. صبغ عم عفيفي الجزمة أسود واداها للراجل والراجل طلع الفلوس بس عم عفيفي مارضيش ياخدهم وقال له: ابقى ادفعهم لما ترجع تصبغها بني تاني بعد المدرسة ما تخلص. الراجل ابتسم لعم عفيفي ودعا له بالصحة والستر. مشي الراجل ومعاه ابنه، بصّلي عم عفيفي وقال لي: الجزمة دي اتصبغت خمس مرات قبل كده ودي السادسة، ساعتها عرفت عم عفيفي عرف ازاي إن الولد في سنة ستة، وهنا أدركت إني جزمة ومابفهمش في الجزم زي عم عفيفي.. ورجعت ثقتي في عم عفيفي ورؤيته للناس من خلال جزمهم.

وبعد عشرين سنة.. كان عندي ميعاد مهم لازم أصحا له بدري.. ومع شروق الشمس صحيت ولبست هدومي وصولًا لجزمتي الملونة اللي من غير رباط، بس وأنا بلبسها اتقطعت.. فاتشاءمت.. لبستها مقطوعة ونزلت وقلت أعدي أصلحها عند عم عفيفي قبل ما أروح ميعادي، وكان بقا لي سنين جزمي ماتقطعتش. المهم رحت شارع

«الشعب» مشيت في الشارع لاقيته اختلف.. عمارات عالية وكلها جديدة.. دورت على عم عفيفي مالاقيتوش فافتكرت إنه بيقعد في الظل وبيتحرك مع الشمس، بصيت للشارع أدور على الظل فيه لاقيته كله ظل ومافيهوش ولا نقطة شمس بسبب عماراته العالية اللي خنقت الشمس وحبستها فوق الأسطح بس شارع «الشعب» بقى كأنه في نص الليل مع إن وقتها كان عز الصبح! مشيت في الشارع أدور بين ظلاله الكئيبة على عم عفيفي.. انت فين يا عم عفيفي؟ جزمتي الملونة مقطوعة وأنا عايز أصلحها. دورت في كل مكان كان بيبقى فيه ظل وكان بيقعد فيه عم عفيفي.. مالاقتلوش أثر.. عم عفيفي كان مصاحب الشمس، والعمارات طفشت الشمس، يبقى أكيد عم عفيفي طفش من الشارع اللي طفشت منه الشمس، طب راح فين؟ انجدني يا عم عفيفي، جزمتي، الملونة اتقطعت وأنا متشائم، خلاص ميعادي المهم فات ومش مهم ألحقه بس عايز أصلح جزمتي، أنا مش عايز ألبس غيرها أنا ماليش في الجزم السودا ولا البني ولا أم رباط، ده أنا كنت ناوي أديها لابني لما يكبر بس اوعى تفهم إني بخيل، لأ ده أنا من أسرة اقتصادية متوسطة فقيرة، أنا عايز أدي جزمتي لابني علشان عايزه يطلع زيي.. حر.. ما بيحبش القيود.. مش انت اللي علمتني سر الجزم!! وصلت لآخر الشارع وآخر مكان كان بيبقى فيه ظل وكانت الشمس خلاص فاضل لها ساعة وهاتغرب. من الشروق للغروب بدور على عم عفيفي ومش لاقيه، هو عم عفيفي فين؟ مش كان بيبقى قاعد هنا في الوقت ده؟ جريت في الشارع وكان خلاص الشمس فاضل لها دقايق وتغرب، جريت وأنا بسابق غروبها، أصلها لو غربت مش هايبقى في ظل وعم عفيفي ما بيقعدش إلا في الظل.. جريت..

جريت.. جريت.. وكل ما كنت بجري كان القطع اللي في جزمتي الملونة بيزيد. كنت بقول مش مهم، لما أوصل عنده هايصلحهالي. ووصلت آخر الشارع وبصيت حواليا على آخر مكان فيه ضلة، بس الشمس كانت أسرع مني.. مشيت الشمس ومشي معاها عم عفيفي.. بصيت على اسم الشارع علشان أتأكد إنه نفس الشارع فلاقيت اسم الشارع اتغير وبقى شارع «الظلال ـ الشعب سابقا»!

قميص أبيض ـ ١/ ١/ ١(*)

من التاريخ ده ١/ ١/ ١ للتاريخ ده ١/ ١/ ٢٠١٠ عدى ألفين وعشر سنين، بعدد الألفين وعشر سنين كل سنة وانتو طيبين.. السنة بتيجي وبتعدي بحلوها ومرها، بنعيشها وبتعيشنا بوحشها وكويسها، وحال السنين زي البني آدمين.. زي ما فيها الكويس والوحش. والحلو والمر.. في من الناس برضه زيها.. مع بداية السنة الجديدة قررت أكون أنا كمان جديد زيها. بس هاخد منها حلوها وأبعد عن مرها، أعيش كويسها وأبعد عن وحشها، مع السنة الجديدة قررت أكون حلو وكويس، في السنة الجديدة قررت أكون مثالي في كل حاجة: في تصرفاتي.. في ردودي.. في أخلاقي، أكون الشخص المثالي. صحيت وغسلت سناني وفطرت وحلقت دقني ولمعت جزمتي وعشان أبقى مثالي على الآخر لبست قميص أبيض مكوي جدًا. هانزل بقى الشارع أعيش في دور المثالي. فتحت باب شقتي وضغطت على زرار الأسانسير علشان يطلع، وفضلت مستني.. إن

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٣٠ من ديسمبر ٢٠٠٩.

الأسانسير يطلع.. مابيطلعش! خمس دقايق.. عشر دقايق.. مش راضي يطلع.. فقررت ماعملش عقلي بعقل الأسانسير، ونزلت له أنا. في الدور الأرضي لاقيت بابه مفتوح، وإيد حريمي طالعة منه، وواحد واقف وماسك الباب بإيده، ده مرتضى، جارنا في العمارة بس الإيد الحريمي ماعرفهاش. قربت من الأسانسير وعرفتها بعد ماشفت وشها، انشراح مرات مرتضى، واقفين يرغوا مع بعض قدام الأسانسير وكأنهم ماعندهمش شقة وطبعًا كان ممكن يكون ليا رد فعل مش مثالي، بس لأني النهارده مثالي، فقلت لهم بكل ود واحترام وجيرة:

«صباح الخير يا جماعة، أنا واقف بقالي عشر دقايق مستني الأسانسير»، قامت انشراح قايلة لي: طب ما أنت نزلت على السلم أهه. ابتسمت ابتسامة بتحمل معنى «آه يا ولية يا بنت الـ..».. اثبت إنت مثالي.. ثبت فعلا، ورحت مديهم ضهري وماشي. خرجت من باب العمارة متجها إلى الجراج، وكان فيه كوم زبالة على ناصية الشارع، أصل فيه حد سرق صندوق الزبالة من ييجي حوالي خمسة وعشرين سنة. اضطريت أفادي كوم الزبالة. وأنا بافاديه بنصي التحتاني، رشقت في فرع شجرة مشوك بالنص الفوقاني فدخلت شوكة في كتفي الشمال، ونزل دم بقّع القميص.. طب أطلع أغير؟ مش عايز أقابل مرتضى وانشراح تاني لأنهم أكيد لسه بيرغوا عند الأسانسير، أصل الأسانسير عندنا بيجيب طراوة، وبعدين أغير ليه؟ ما هو أنا مش رايح حتة أساسا! كملت طريقي ودخلت الجراج لاقيت عربيتي محشورة بين عربيتين «فور ويل» عاليين وعرابيتي واطية.. شكيت إن العربيتين العاليين بيعملوا حاجة في عربيتي، أمال إيه اللي زانقها كده وسطهم؟ ماهي واطية وأنا عارفها. بس اكتشفت

إني ظلمتها لأنها ماتحركتش من مكانها من ساعة ما ركنتها، العربيتين العاليين دول هما اللي ركنوا جنبها وسايس الجراج هو اللي سامح بالمسخرة دي في الجراج. حاولت أدخل من بين العربيتين عشان أدخل عربيتي، ماعرفتش.. أصل السايس لازق العربيتين في عربيتي وكل عربية لازقة في باب. طب أنا أدخل ازاي؟ استغليت رُفعي وحاولت أدخل من الناحية اليمين، وفعلا وصلت للباب، بعد ما مسحت جنب عربيتي والعربية اللي جنبي بقميصي الأبيض، وبقى رمادي، بس الحمد لله الكمام كانت لسة بيضة لأني كنت رافع إيدي لفوق، فبقى قميصي أبيض في رمادي.. وفشلت محاولاتي للدخول من باب السواق. قلت أجرب الباب التاني جايز الحتة تكون أوسع شوية، دخلت بين عربيتي والعربية التانية ووصلت للباب بعد ما مسحت الجنب التاني لعربيتي والعربية التانية بقميصي الرمادي اللي بقى إسود.. بس الحمد لله الكمام لسة بيضة.. وأنا لسه مثالي.. ولازم أبقى مثالي.. وصلت وبقى صدري قدام باب عربيتي، وضهري في باب العربية اللي جنبي وإيدي مرفوعة لفوق ولو حد بص من أي بلكونة هايفتكر حاجتين مالهومش تالت: يا إما أنا بعمل حاجة عيب في عربيتي، أو العربية اللي ورايا بتعمل حاجة فيا! وتخيلوا بقى على آخر الزمن أبقى بتاع عربيات؛ إيدي مرفوعة لفوق، وأنا مزنوق وسط العربيتين، ومش عارف حتى أنزل إيدي أطلع المفتاح. خرجت زي ما دخلت.. بس الحمد لله لسه أكمام القميص بيضة والقميص بقى إسود غامق.. قعدت ألف وأدور حوالين نفسي.. أعمل إيه بس يا ربي؟ أصرخ بعلو صوتي في الجراج.. جاتلي فكرة إني أدخل العربية من فتحة السقف! أكيد

اللي اخترع فتحة السقف دي شاف يوم زي اللي أنا شفته ده ولأن فتحة السقف ممكن تتفتح من المفتاح، رحت فاتح فتحة السقف ورحت طالع فوق السقف ورحت مدلدل رجلي ونزلت بجسمي وإيدي مرفوعة لفوق وكأني نازل في بير.. والحمد لله وأنا نازل كمام القميص حكت في فتحة السقف، وأنا عمري ما فتحت فتحة السقف لأني باخاف من الناس اللي بتف من البلكونات.. ما هو أنا مش عاملها متففة، فكل جوانبها معبية تراب، فكمام القميص حكت فيها وأنا نازل فبقت سودة.. كده يبقى فاضل وشي.. نفسي أعرف مين الناس اللي ركنت كده لزق في عربيتي؟ مفيش مخ؟ وأخيرا ظهر السايس، وعايز يلمع العربية، لكن بعد إيه؟! المفروض يلمعني أنا.. المهم خرجت بالعربية لاقيت السايس بيقول لي: كل سنة وإنت طيب يا بيه. أنا طبعا عارف هو عايز إيه.. وبسبب اللي عمله فيا ده استهبلت بالرغم من إن الاستهبال مش من المثالية، لكن استهبلت وقال لي برضه: «كل سنة وإنت طيب يا بيه».. فرحت مكمل استهبال زيه وسايبه وماشي وطبعا بصيت في المراية لاقيت شفايفه بتتحرك، ولما لاقاني باصص له راح راسم ابتسامة على وشه.. ودي كانت أول مرة في حياتي أشوف واحد بيعمل حاجتين عكس بعض في نفس الوقت: بيلعن سلسفين جدودي وهو بيضحكلي! حقيقي رائع وحقير.. على فكرة أنا باديله مرتب شهري.. بس كل سنة وإنت طيب دي تقريبا حوافز. المهم خرجت من الجراج وطلعت على أول شارعنا العمومي لاقيت ناس عايزة تعدي الشارع، فوقفت لهم عشان يعدوا وكأنهم يا عيني أول مرة حد يقف لهم فكان كل اللي يعدي من قدامي يبص عليا وهو مبتسم بعدم فهم، ويقول: «الحق

واحد راكب عربية وبيقف للناس عشان يعدوا». رد عليه اللي جنبه وقال له: «ده تلاقيه لسة جاي من برة أو لسة متعلم السواقة جديد أو أهبل». التاني قال له: «طب الراجل واقف مش هانعدي ولا إيه؟». رد عليه وقال له: «استنى لما يتحرك وبعدين نعدي من قدامه، أنا ما أعرفش أعدي من قدام العربيات وهي واقفة، ناقص تقول لي أعدي من على خطوط المشاة!». المهم وأنا واقف عدى من جانبي شاب ماسك رزمة ورق صغير وراح رامي ورقة في شباكي جت في عيني طرفتها، وقلت له: «الله يسامحك. وطبعا ماسمعنيش لأنه كان بيطرف عين اللي ورايا، ولسة هابص على عيني في المرايا، وابتدى صوت الكلاكسات اللي ورايا يعلى أكتر وأكتر، ده غير الشتايم.. ما تطلع يا بني آدم.. ما تتحرك يا حمار. واللي يعدي من جنبك ويروح تافف عليك، ويقول لك: يلعن أبو اللي ركبها لك. رحت طالع وراح أخينا معدي وأنا باتحرك لاقيت الشارع واقف بسبب واحد داخل في الممنوع وبيعاند مع واحد جاي في الصح. الغريب بقى إن اللي جاي في الممنوع هو اللي بيشوح للي جاي في الصح! وقعدنا كده ربع ساعة، والمشكلة ماتحلتش وأنا واقف لا عارف أرجع الجراج ولا أخرج من الشارع. أنا ليه بيحصلي كده؟! ده أنا عايز أبقى مثالي.. ده جزاتي يعني؟! نزلت على السلم وقميصي أسود، واتف عليا، وسمعت شتيمتي بوداني، واتطرفت عيني، كل ده ليه؟! عشان أنا مثالي.. أمال لو كنت مثالي جدا كان حصل لي إيه؟! رحت طافي العربية وراجع على البيت، وعديت من فوق كوم الزبالة، وعورت كتفي التاني لأني كنت بافادي الزبالة اللي اتسرق صندوقها، ولاقيت مرتضى وانشراح لسة واقفين، رحت

طالع على السلم ودخلت شقتي زي ما خرجت. خرجت بقميص أبيض ورجعت بيه أسود.. اكتشفت إن دور المثالي ده دور صعب قوي، عمري ما هاعرف أمثله حتى لحد آخر شارعنا.. مش لحد آخر السنة.. كل ألفين وعشر سنين وانتو طيبين.

جرس الفسحة(*)

من الجائز جدا أن تكون سعادتك بالنسبة للآخرين مأساة. وللسعادة منابع مختلفة، وكل إنسان له منبعه الذي يستمد منه ما يسعده. فهناك من يسعدهم كثرة المال أو كمال الصحة، أو قوة النفوذ، أو الستر أو النعيم، أو خلفة الأولاد أو امتلاك العقارات، أو السفر أو الجنس، أو النجاح.. أو حتى لمجرد سماعهم أغنية تطربهم.. وآخرون يسعدهم رؤية الآخر سعيدا، وهو نوع من السعادة نادر الوجود. ورغم ندرته إلا أنك تجده بقوة وبوفرة في الوالدين.. لذلك لا تقل لهما «أف ولا تنْهرهُما»، وهناك سعادات أخرى مختلفة، فهؤلاء يجدون سعادتهم في الحقد، فترى حاقدًا سعيدًا بحقده، وآخر غاللًا سعيدًا بغله، وقاتلًا متلذذًا بقتله، وعاصيًا سعيدًا بمعصيته، ومذلًا سعيدًا بإذلاله، ومسوخيًا تسعده مسوخيته لنفسه أو ساديًا تسعده ساديته تجاه الآخرين، وهناك أيضا سعادات يستمدها الناس من تعاسة الآخرين. قرأت عنوانا لموضوع في

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٦ من يناير ٢٠١٠.

جريدة مصرية لم تسبق شقيقاتها من الجرائد في مسح الزجاج بالماء أو تلوثت ببقع زيت الطعمية في المحلات أو تغطية أحد الموتى في الشوارع. كانت هذه الجريدة أسعد حظا في مصيرها من زميلاتها، فقد كانت تنظر لي وأنا أفترشها أرضًا لأصلي عليها مُكبرًا وراكعًا وساجدًا في صلاة الجمعة في الشارع، ولكنها كانت أتعس حظًا من شقيقاتها بهذا الخبر الذي كُتب فيها والذي حاولت أن لا أقرأه حتى لا أخرج عن تركيزي في الصلاة، ولكن صراخ الخبر كان أقوى من خشوعي، فقرأته:

«مدرس بإحدى المدارس الابتدائية يمسك طالبا واضعا يده خلف ظهره ويجعل زميلاته الطالبات في الفصل يصفعونه بالقلم على وجهه».

هذا العنوان الذي يعلو الموضوع حدد انطباعي المسبق عن الموضوع المكتوب أسفله أنه أكيد كوميدي، وذلك من صعوبة تصديقه أو أن يكون يحمل في فحواه أي جدية واقعية، ولكن للأسف بات انطباعي خاطئا حزينا بعد أن قرأته.. وجدته حقيقيا مأساويًّا.. وأنا من فرط استحالة حدوثه ظننته كوميديًا! شخصيات هذه المأساة كانت مدرس وطالب في الابتدائي يدعى «حسن» وأبو الطالب «أبو حسن» وظابط. وكانت أماكن الحدث هي مدرسة وفصل وقسم شرطة ومنزل حسن. الموضوع تجسدت أحداثه المأساوية من خلال شخصياته الدرامية الفاعلة والمفعول بها والشاهدة على الحدث.

تحكي المأساة عن يوم أغبر من الأيام الغابرة اللي في المدارس وعن لحظة سودة من اللحظات السودة اللي في الفصول.. وعن

مدرس أسود من بعض المدرسين السود بتوع الأيام دي.. ومدرس يعني مُعلم بيعلم علم.. مش بيعلم على وشوش التلامذة بالأقلام.

تحكي المأساة عن يوم أغبر من الأيام الغابرة اللي في المدارس.. وعن لحظة سودة من اللحظات السودة اللي في الفصول.. وعن طالب؛ طالب بيتعلم علم.. مش بيتعلم على وشه بالأقلام.

تحكي المأساة عن يوم أغبر من الأيام الغابرة اللي في الأقسام.. وعن لحظة سودة من اللحظات السودة اللي في مكاتب الأقسام.. وعن ظابط.. وظابط من الظبط.. اللي بيظبط.. وهناك نوعان من الظبط.. ظابط يظبط الحال العدل.. وللأسف بيميله.. وظابط بيظبط الحال المايل والحمد لله بيعدله.

تحكي المأساة عن يوم أغبر من الأيام الغابرة اللي في البيوت.. وعن لحظة سودة من اللحظات السودة اللي في الغرف.. وعن أب.. أب كان قدوة، ومن المؤكد أنه أصبح في عين ابنه عبرة.

قررت أحط نفسي كل مرة مكان شخصية من شخصيات هذه المأساة الواقعية.. وسأبدأ بالمدرس.. كيف سأتخيل نفسي مكانه؟ لا بد وأن أعرف من هو وما هي أبعاده حتى أتمكن من تجسيد شخصيته، فوجدت نفسي لا أملك أية مشاعر أو أحاسيس، ولكنني سأحصل على سعادتي اليوم في هذه المدرسة وهذا الفصل حتى ولو كانت على حساب طفل صغير. ماذا أفعل الآن؟ لا بد من إيجاد فكرة تُسعدني.. ما هي؟ ما هي؟ ها هي.. أنا هاجيب عيل من العيال دي وأخلي كل الفصل يضربه بالقلم على وشه.. واااااو.. إذن لا بد من اصطياد فريسة.. وفعلا اصطدت الفريسة وجبتها لحد عندي وهي

مش مخونة اللي هايحصل فيها.. اصطدت لها خطأ تافهًا وعبيطًا علشان ماحسش بأي ذنب، مسكت الطفل من إيديه جامد بعد ما خليته يحطهم ورا ضهره، وعلشان الضحك يبقى للركب هاخلي البنات بس هما اللي يضربوه.. وناديت على بنت تيجي تضربه بالقلم على وشه.. كان بيحاول يفلفص بس على مين ده أنا جامد أوي.. كل بنات الفصل ضربوه.. وضحكت ضحك.. بس الحلو ما يكملش.. اضطريت أسيبه لأن جرس الفسحة رن.

ودلوقتي هاتخيل نفسي مكان الطفل حسن. أنا دلوقتي طفل رايح المدرسة علشان أتعلم. نده عليا الأستاذ وقال لي: تعالى أنت بتتكلم مع اللي جنبك ليه؟ قلت له: أنا ما تكلمتش! زعق وقال لي: «يعني أنا هاتبلى عليك؟»، مسك إيدي بعد ما رحتله وخلى كل بنت تضربني على وشي وهي بتبص في عيني، وكنت كل ما أقفل عيني يقول لي: افتحها. حاولت أفك إيدي من إيده لكن هو كان أقوى مني بكتير. استسلمت للضرب بعد ما اتحايلت عليه كتير وأنا بعيط، بس هو كان أقوى في حكمه.. بعد ما استسلمت للضرب ما كنتش عايز حاجة غير إنه يسيبني بس أغمض عيني. البنات نظراتهم كانت بتوجعني أكتر من الضرب. مش عايز أشوف نظراتهم ليا وهما بيضربوني، كانوا بيعملوا ده غصب عنهم. بنت واحدة اللي رفضت تضربني، قال لها هاوقفك بداله.. خافت تنكسر زيي.. فضربتني.. وبصت لي وحركت شفايفها من غير ما تطلع صوت وقالت لي: غصب عني. قلت في سري أنت فين يارب؟ فرن جرس الفسحة.

ودلوقتي هاتخيل نفسي مكان الأب «أبو حسن» لاقيت نفسي

بصرخ لحد كبدي ما انشق، قلت: آاااااااااااااااااااااه.. آه يا بني.. حضنته وبوست وشه اللي انضرب بعدد بنات الفصل. باصلي.. حسيت إنه كبر ألف سنة.. ابني اتكسر. شفت في عينه نظرة انكسار وفي قلبه وجع، لسة بدري عليه أوي.. نظرة انكسار مايحسهاش غير عسكري بلده اتهزم، نظرة لم تكن ستسكن عينيه أبدًا في هذه المرحلة المبكرة من عمره.. فالانكسار يأتي للكبار.. وهو طفل.. وابني. ما أصعب أن يشعر الأب القدوة أنه لا يقوى على فعل شيء فيصبح عبرة.

ودلوقتي هاتخيل نفسي مكان الظابط اللي بيعمل محضر ضد المدرس.. أنا الظابط.

س: ابنك اسمه إيه؟

ج: تلميذ في المدرسة.

س: عنده كام سنة؟

ج: امبارح كان عشرة والنهارده تم ألف.

س: بتتهم مين؟

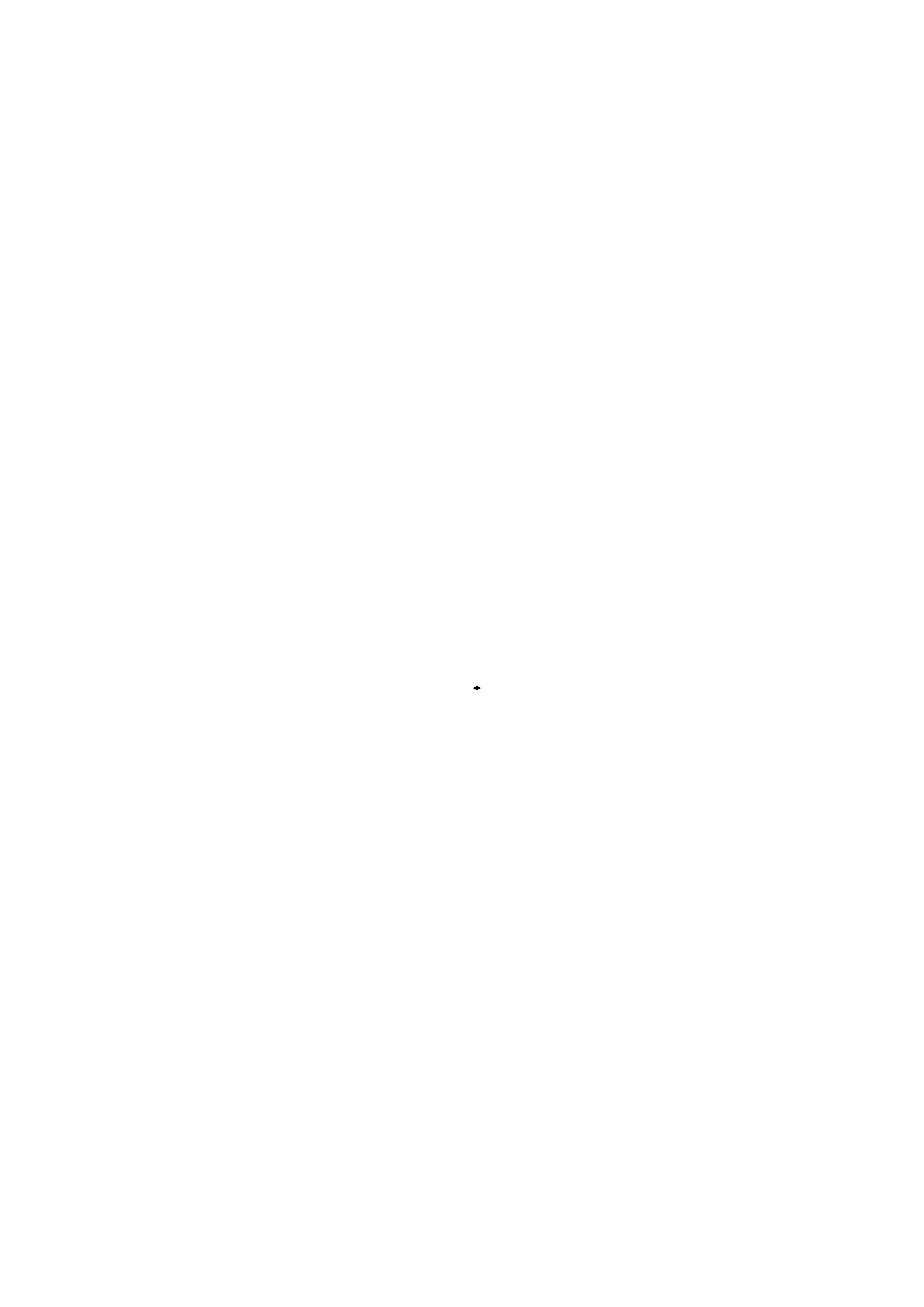
ج: بتهم الابتسامة لأنها فارقته، وبتهم البراءة لأنها سابته، وبتهم الطفولة لأنها كبرته، وبتهم اللعب لأنه مات عنده، وبتهم العمى لأنه ماجلوش لما النظر آذاه، وبتهم الكلام لأنه سكت في حلقه، وبتهم نفسي لأني خلفته، وبتهم ابني لأنه نزل حي من بطن أمه، وبتهم قلبي لأنه حبه، وبتهم قلبه لأنه مش حجر، وبتهم أبوتي اللي خلتني أحبه، وبتهم بنوته اللي خلته يشوفني عاجز، وبتهم جرس المدرسة اللي مرنش من قبل أول قلم يلمس خد ابني، وبشكر ربنا إن الجرس رن

لما قال له: انت فين يارب؟ جرس الفسحة.. فسحة كل من فيها يلعب عدا هو.. رأيته قابعا في أحد أركان الفصل مغمضا عينيه ويبكي خائفا يرتعش، يسأل نفسه آلاف الأسئلة العجوزة العاجزة عن الإجابة.. كيف سأنسى؟ كيف سأكبر؟ كيف سأصبح عالما؟ كيف سأصبح ظابطا شجاعا؟ كيف سأصبح قاضيا عادلا؟ كيف سأصبح مهندسا أبني؟ كيف سأصبح دكتورا أعالج؟ كيف سأصبح جنديا أدافع عن وطني؟ كيف سأصبح أبا فيحدث لابني ما حدث لي؟ كيف سأصبح طفلا؟ أتعلمون.. تمنيت أن يكون هذا المدرس عدوا إسرائيليا أسابق كل المصريين في قتله وأكون قاتلا سعيدا بقتلي له، حاقدا عليه سعيدا بحقدي تجاهه، مغلولا فرحا بغلي منه، أقتله وأصبح بطلا أو يقتلني فأصبح شهيدا.

أتعرفون.. سألني مرة مدرس في الفصل سؤالًا ولم أعرف إجابته فتعصب المدرس وركل التختة التي كنت أجلس عليها بقدمه. وقتها شعرت بإحراج وخجل مرير أمام التلاميذ، تمنيت أن أموت ويدفنوني في التختة. لم أنسى حتى يومنا هذا نحافة هذا المدرس ولا لون بدلته «الرمادية المقلمة» ولا اسمه «يحيى» ولا مادته «الأحياء» ولا ترتيب الحصة في اليوم الدراسي «الحصة الرابعة» ولا موقع اليوم من الأسبوع «الثلاثاء»، لم أنسى وقد مر أكثر من ربع قرن.. ولم أنسى.. ولن أنسى.

لقد تخيلت نفسي ظابطًا ومدرسًا وطفلًا وأبًا، فكرهت خيالي الذي أذرف دموعي. أريد أن أسأل حسن: «تفتكر احنا ليه بنحبس الأسد يا حسن؟»، علشان نذله ونهينه ولا علشان بنخاف منه؟ أكيد

علشان بنخاف منه، والمدرس خاف منك، ولا ماكنش مسك إيدك وحبسها ورا ظهرك وماخلكش تدافع عن نفسك. وحتى لو كان المدرس مامسكش إيدك.. أنا كنت واثق إنك ما كنتش هاتعمل حاجة للي ضربوك.. عارف ليه؟ لأنهم بنات والراجل مايضربش بنت، الراجل يضرب راجل زيه.. بس للأسف الفصل ماكانش فيه رجالة غيرك. أنت أسد يا حسن، حقيقي أسد، وانتهت الصلاة مع نهاية قراءتي للموضوع. وجدت نفسي أنظر للجريدة التعيسة وأنا أقرأ التشهد وكأنني سمعتها تقول يا ليت كان مصيري بللًا بالماء أو بقعا بالزيت أو تلطيخا بالدم، ليتني نظفت زجاجا أو كنت قرطاسا لشوية طعمية أو حتى غطاءً لميت. وضاعت صلاتي كما ضاعت طفولة حسن، ضاعت صلاة الجمعة ووقفت ولكنني سمعت تكبيرا؛ «الله أكبر»، فسألت مصليا بجواري قبل أن يرفع يديه بجوار أذنه للتكبير: ما هذا التكبير؟ لماذا يكبر الإمام؟ ألم تنتهي صلاة الجمعة؟ فقال: نعم.. دي صلاة جنازة. قلت له: على مين؟ قال لي: طفل صغير الله يرحمه، كبر كبر. فكبرت.



سنة ١٩٠٠ حاجة و٨٠(*)

سنة ١٩٠٠ حاجة و٨٠ كان عندي شوية سنين ما يتعدوش الخمستاشر، قررت أكتب مذكراتي، وكان الغرض الرئيسي من ورا كتابتها إني أودي الناس كلها في داهية لما أنشرها. ما هي دي كانت كل معلوماتي عن كتابة المذكرات، إن الكلام اللي مكتوب جواها بيودي الناس اللي مكتوب عنهم في داهية، واللي بيكتبها بيتقتل في الآخر. علشان كده كنت هامضيها باسم واحد صاحبي. المهم.. بعد قرار كتابة المذكرات كان من الطبيعي إني أدور على حاجة أكتب بيها، فاشتريت تلات «تقلام»: «أحمر وأزرق وأسود»؛ الأحمر علشان أكتب بيه أسماء الناس اللي هايروحوا في داهية علشان تكون أساميهم واضحة لما البوليس يقلب في الأجندة؛ لأنه مش هايكون عنده وقت يقرا كل اللي مكتوب فيها. والأزرق أكتب بيه عمايلهم الزرقة اللي هايروحوا في داهية بسبب زرقانها، والأسود بقى هاكتب بيه نهايتهم السودة. وبعد ما اشتريت «التقلام

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٣ من يناير ٢٠١٠.

التلاتة» اللي هاكتب بيهم كان فاضل أشتري حاجة أكتب فيها، فكانت الأجندة «الخضرا». وصحيت الصبح يوم ١/ ١/ ١٩٠٠ حاجة و٨٠ بعد ما نمت بدري قبلها بيوم عشان أصحى بدري آخد اليوم من أوله وأكتب قبل مايفوتني حاجة. جبت «التقلام» اللي هاكتب بيها والأجندة اللي هاكتب فيها وفتحت الأجندة على أول صفحة، وبصيت للأقلام الثلاثة المحطوطين قدامي على المكتب.. احترت أمسك أنهي قلم، الأحمر ولا الأزرق ولا الأسود! مسكت الأحمر. طب أكتب اسم مين؟ ده لسه مافيش حد عمل حاجة.. أنا الوحيد اللي عملت ـ إني صحيت من النوم ـ طب أكتب اسمي! مش معقول ابقى أول واحد أوديه في داهية أنا وصحياني من النوم عادي، لا فيه فعل أزرق ولا نهاية سودة، بالعكس دي بداية يوم وبداية مذكرات.. فكان لازم آلاقي قلم بلون محايد أكتب بيه. فتحت درج المكتب لاقيت قلم رصاص مبري، مسكته وبصيت لأول صفحة وكتبت:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. إنه يوم الجمعة الموافق ١/ ١/ ١٩٠٠ حاجة و٨٠ استيقظت من النوم في تمام الساعة العاشرة صباحا لكي أبدأ في كتابة مذكراتي ثم جلست على مكتبي ونظرت إلى الأقلام أمامي، الأحمر والأزرق والأسود، واحترت في اختيار واحد منهم ففتحت درج مكتبي، فوجدت قلما «رصاص» فأمسكت به، وفتحت أول صفحة من الأجندة ونظرت لها ووجدت نفسي أكتب..

بسم الله الرحمن الرحيم.. إنه يوم الجمعة الموافق ١/ ١/ ١٩٠٠ حاجة و٨٠ استيقظت من النوم في تمام الساعة العاشرة صباحا لكي

أبدأ في كتابة مذكراتي ثم جلست على مكتبي ونظرت إلى الأقلام أمامي، الأحمر والأزرق والأسود، واحترت في اختيار واحد منهم ففتحت درج مكتبي، فوجدت قلما «رصاص» فأمسكت به، وفتحت أول صفحة من الأجندة ونظرت لها ووجدت نفسي أكتب..

بسم الله الرحمن الرحيم.. إنه يوم الجمعة الموافق ١/ ١/ ١٩٠٠ حاجة و٨٠ استيقظت من النوم... إيه ده؟ ده أنا باعيد نفس الكلام تاني.. اكتشفت إن المذكرات لازم لها أحداث يا إما الأجندة هاتخلص وأنا لسة في مكاني.. والحدث الوحيد اللي عملته إني صحيت من النوم، وقعدت على المكتب وبصيت إلى أقلامي الأحمر والأزرق والأسود، واحترت في اختـ.. يادي النيلة أنا هاعيد نفس الكلام برضه! سيبت القلم الرصاص، وقلت لازم يبقى في أحداث أتحط فيها وأكتب عنها وعني. وابتديت فعلا رحلة البحث عن الأحداث، رحلة ابتدت من وقتها لحد النهاردة، أحداث تشيلني وأحداث تحطني، أحداث قصيرة تفرحني، وأحداث طويلة تكئبني.. مواقف حلوة بتعدي بسرعة البرق ومواقف حقيرة زي الشلالات ما بتخلصش، لحظات تمر كأنها سنين، وسنين تفرط من عمرك كأنها ثواني.. رحلة طويلة لم تنتهي حتى هذه اللحظة. رحلة طويلة خلصت فيها ورق لأجندات كتير بألوان كتير، إشي أجندة خضرا وغيرها حمرا ومن بعديهم لبني وسودة ونبيتي تحفة ولا البني! ولو شوفتوا بقى الزرقة.. تجنن.. كل الألوان.. مليت أجندات لكل السنين من أول ١٩٠٠ حاجة وتمانين لحد النهاردة.. وفجأة مش عارف إيه اللي خلاني أجيب كل الأجندات اللي كتبتها وقعدت أقلب وأقرأ بين أيامها المتنتورين على صفحاتها اللي كانوا مبيضين وبقوا مزرقين على محمرين. ابتديت بالأجندة «الصفرا»، ومش هاقولكو الأجندة

كانت بتاعت سنة كام؛ لأني اكتشفت إن ترقيم السنين ما بيغيرش كلام كان مكتوب بقلم رصاص ابتدى بسن رفيع وانتهى بخط تخين.

«الأجندة الصفرا» سنة من السنين، صفحة ٥٦ مكتوب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. مقهى صغير يجلس عليه بعض المسنين كانوا بيتكلموا عن حنية وطيبة أيام زمان لما كان مافيش ولا دار للمسنين، لما كان الابن والبنت حنينين. عم متولي أب قديم عنده من السنين ييجي خمسة وسبعين، شفط شفطة من الشاي، وقال لصديقه عم إبراهيم: إنت عارف يا إبراهيم الوحدة مخلياني ميت بالحيا، نفسي خيري ابني يقول لي: تعالى أقعد معايا كام يوم. عارف يا إبراهيم أنا مش هاروح بس نفسي يقولها. إبراهيم قال له: ما تزعلش خلاص فاضل شهر ولا اتنين ويفتتحوا أول دار للمسنين.. يااااااه يا خيري».

«الأجندة الزرقا» صفحة ٦٧ مكتوب فيها:

«أستغفر الله العظيم.. قالها الأستاذ جرجس لما قطعوا الشجرة اللي كانت بتظلل على عربيته التمانية وعشرين، أصلهم كانوا عايزين يطلعوا بالدور العشرين، وخلاط الأسمنت مش عارف يقف غير في الحتة اليمين بين الممرين اللي فيها شجرة الياسمين، فقطعوا الشجرة وطيروا العصافير اللي كانوا فيها معششين.. يااااااه يا شجرة الياسمين».

الأجندة «الحمرا» صفحة ٧٣.. مكتوب فيها:

«حسبي الله ونعم الوكيل.. قالها شاب أسمر صعيدي لما شاف

بنتين ببنطلونين محزقين من ضهرهم ماشيين، سبقهم بخطوته علشان يغض العين. شاف وشوشهم لقاهم شابين بشنبين.. متبنتين.. راح مأخر خطوته عشان مايشوفش وشهم اللعين وقال لنفسه ياريتني ما سبقتهم، وفضلت فاكرهم بنتين متحزقين.. يااااااه يا عين».

الأجندة «المحمحي» صفحة ٨٢.. مكتوب فيها:

«لا حول ولا قوة إلا بالله.. لإمتى هانفضل ساكتين؟ ولا هو يعني علشان ليه كرش سمين يقوم يعمل اللي عايزه وياخد حقنا ويخرج منها صاغ سليم. أمال فين السين والجيم؟ ولا الحرفين دول مخلوقين للسكات والجحيم؟ فين قانون العدل يا محترمين؟ ارحمونا من أبو كرش سمين، ده دخل القسم وخرج منه زي الشعرة م العجين. إن كان هو بني آدم طب ما إحنا كمان بني آدمين ومخلوقين زيه من طين ولا دي كمان هاتغيروها يا واصلين.. يااااااااه يا ساكتين».

الأجندة «الفحلقي» صفحة ٩٥.. مكتوب فيها:

«أعوذ بالله.. ده أنت لو كافر يا أخي هاتكون أحن من كده.. دول ولاد أختك اليتامى المحتاجين، واكل فلوسهم وعامل نفسك عليهم وصي وأمين.. وانت حرامي وبتقول ولا الضالين آمين، وأنا لسه سامعك بودني لخامس مرة بتسب الدين.. يااااااااه يا دين».

الأجندة «الفزدقي».. صفحة ١٠٣.. مكتوب فيها:

«واحنا فايتين على الحدود مستمرين في الصعود اختفى النيل الجميل من تحتنا، والمدن والريف وأول عمرنا، وابتدى شيء ينجرح جوه القلوب.. وابتدينا أسئلة مالهاش ردود.. نمنا ع الشباك نخبي

دمعة فرت مننا.. يا سلاااام على فرقة الأصدقاء.. صحيح.. فين النيل والريف؟ فين عمرنا؟ فين ردود الأسئلة؟ لإمتى هاتفضل تفر الدموع مننا.. ياااااه.. الأصدقاء».

الأجندة «البندقي» صفحة ١٠٧.. مكتوب فيها:

«بجنيه عيش.. بجنيه فول.. بجنيه طعمية.. بجنيه جبنة «أريش».. وربع جنيه شاي.. وربع زيت للفول.. ومش مهم الملح.. مر الأيام غانينا عنه.. ومش مهم الشطة.. كفايه حُرقة الفقر ملهلبانا.. وربع جنيه سيجارتين؛ واحدة الصبح والتانية بالليل في البلكونة.. يبقى كده كام في اليوم يا عبد الرازق؟ أربعة جنيه خمسة وسبعين قرش.. قول خمسة جنيه بالعلاج والعلام والفسح.. اضرب بقى في تلات طقات.. يعني خمستاشر جنيه في اليوم يا عبد الرازق.. في تلاتين.. يعني ربعمية وخمسين جنيه في الشهر يا عبد الرازق.. كتير؟! طب احسب على طقتين كده. يبقى تلتميت جنيه في الشهر يا عبد الرازق. طب لو طقة؟! يبقى ميه وخمسين في الشهر يا عبد الرازق. طب مافيش حاجه أقل من طقه؟! فيه.. إنك تطق تموت يا عبد الرازق. ياااااه.. أخيرا اتحلت».

الأجندة «البنفسجي» صفحة ١٠٩.. مكتوب فيها:

«إنا لله وإنا إليه راجعون.. مات وهو بيشرب.. كان بيشرب ميه وشِرِق مات.. حد يصدق.. ده كان بصحته وعافيته.. كان زي الفل طول بعرض.. إيه اللي شرّقه وموّته؟ أكيد حد جاب في سيرته فشرق مات.. حد! زي مين؟ أي حد بيكرهه.. هو في حد بيكره؟ ياااااه.. كتير».

لاقيت في أجنداتي أسامي كتير محمرين وآلافات السطور مزرقين ومافيش ولا نهاية من النهايات المسودين. الأقلام «الحمر» في درج مكتبي كتير فاضيين، والأقلام الزرقة أنابيبهم مبيضين.. أما القلم الأسود اليتيم اللي من سنة حاجة وتمانين.. زي ما هو.. لا كتب حرف ولا كلمة ولا جملة على أي حد من اللي أساميهم محمرين وأفعالهم مزرقين.. مع الزمن اتمسح الكلام اللي مكتوب بالرصاص وفضلت الأسامي الحمر على ورق الأجندة متفرقين.. وسطور زرقة متجمعين زي كتل الدم في الجسم الأبيض محبوسين.. أما النهايات السودة ماتكتبش.. أكتبها ازاي إذا لم تذكرها السنين.. وآخر أجنداتي كانت الأجندة البمبي أم سوستة بتاعة سنة ٢٠٠٠ و٩.. حطتها فوق الرف مع إخواتها القدام الملونين.. وأبدأ سنة ٢٠٠٠ و١٠ ببسم الله الرحمن الرحيم.. وأجندة جديدة وقلمين تانيين.. أحمر وأزرق مليانين.

عسل أبيض(*)

ما أحلى اللقاء وما أصعب الفراق! كان لقائي به لأول مرة مرحًا ومبهجًا، لا يقل مرحًا عن ابتسامته المشرقة التي تُظهر بياض أسنانه ولا يقل بهجةً عن تلك البهجة التي تنبعث من قلبه، قلبه الذي باتت دقاته تضعف تدريجيا حتى توقف عن كل شيء.. عن الحياة أولًا والبهجة ثانيًا، والطيبة والتسامح والإيمان، ولك أن تتخيل ما كان يملأ قلبه المتوقف هذا حتى تاسعًا وعاشرًا.. توقف قلبه غادرًا بالحياة ومغادرًا منها. توقف قلبه ملوحًا ومودعًا لكل الأيام التي لن يعيشها.. أيام لو كانت طيبته تنبض فيها بدلًا من قلبه لبلغ من العمر أرذله. كان لقائي به في مكتبي مرحًا ومبهجًا. سأله الساعي: ماذا تشرب؟ فقال: قهوة مظبوطة.. وقبل أن ينصرف الساعي لاحقه بـ«لو سمحت»، فتوقف، فقال له: في كباية مش في فنجان، وحاول تحافظ على الوش، وعلى نار هادية وحياتك. عرفت إنه كيّيف قهوة فقلت للساعي إذن اعملها من البن بتاعي. وقبل أن ينصرف الساعي أوقفته بـ:«بقول لك إيه»

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢٠ من يناير ٢٠١٠.

اعملي أنا كمان قهوة. فقال هو للساعي: «اعملها له من البن بتاعي». فضحكت وضحك وضحك الساعي. كنت قد انتهيت توا من شرب فنجان قهوة، ولكن طريقة طلبه للقهوة شجعني أن أشرب معه فنجانًا آخر. قهوته كانت مظبوطة ككلامه وملابسه وشخصيته التي ظهرت من أول لقاء لي به. وقهوتي أشربها زيادة كالترحيب الذي رحبت به، ليس لأني أعرفه ولكن لأني شعرت أنني أعرفه. جلسنا سويا نتحدث عن الفن والحياة. حكى لي كيف كان يحب التمثيل من صغره، كان حُلمًا بالنسبة له.. ولكنه كان كابوسًا بالنسبة لوالده. كان رافضًا وغير مؤيد لحلم ابنه الذي لم يكن قد ولد بعد. وكبر الابن وظل الحلم قابعًا داخله في انتظار أن يُولد، ووُلد الحلم أخيرًا وهو جالس معي. ولد حلمه عندما عرف أنه سيقوم بتمثيل دور في الفيلم الجديد. كان حلمه ضاحكًا مثله، مبتسمًا مثله، نظرت له فوجدته يبدو كالطفل المحبوس الذي خرج إلى حديقة شاسعة. لم أر من قبل رجلًا في مثل سنه يبدو كالأطفال هكذا. لو لم أكن متأكدًا أنه يجيد الكلام والمشي لشككت أنني أجلس بصحبة طفل يشرب القهوة! حكى لي عن حلمه الصغير الذي ولد لتوه. قال لي إنه «يحب التمثيل وكان يريد أن يصبح ممثلًا»، وفي الغالب دائما ما تقترن كلمة «مشهور» بـ«ممثل».. ولكنه قال ممثلًا فقط. لم يكن يطمح في الشهرة ولكنه كان يطمح في التمثيل فقط.. كان سيمثل دورًا مع الراحل أحمد زكي في أيام الشباب ولكن والده رفض كما كان رافضًا لحلمه. كان يبحث تارة وينتظر تارة عن فرصة يمكن أن يُولد حلمه على يديها ولكنها كانت لا تأتي وإن أتت فإنها لن تنتظر حتى يغير والده رأيه من الرفض للموافقة.. فترحل.. زهق الحلم بداخله ولكنه لم يتركه ويرحل، ولم يمت ولم يتبدل بحلم آخر. كمُن وسكت

بداخله حتى ولد بعد أن أصبح صاحبه في الثامنة والخمسين من عمره. أخذ يقلب فنجانه ثم شرب آخر رشفة فيه ثم وضعه أمامه وقال لي: «أنا مش هامثِّل».. فاجأني بقوله هذا الذي لو كنت صبرت لحظات لوفرت تلك المفاجأة لشيء آخر يستحق المفاجأة بقدر ما تستحقها هذه العبارة التي فاجأني بها. في تلك اللحظات التي لم أصبرها نظرت له وأنا حيران وقلت لنفسي: «مش هايمثل» بعد كل هذه الحكايات عن حُلمه، ماذا يقول هذا الرجل؟ هل أتى إلى هنا ليشرب القهوة فقط ويغادر؟ إذن لماذا أخذ السيناريو وأضاع وقته في قراءته؟ لماذا عشمتنا بأنك ستمثل دور والدي في الفيلم، وزاد العشم عندما وجدته يشبهني كأنه والدي وأنا ابنه أو بمعنى أدق أنا الذي أشبهه.. «مش هايمثل ليه؟»، هل ما زال والده على قيد الحياة ويريد أن يأخذ رأيه؟ أم ربما أخذ رأيه قبل أن يحضر إلى هنا ولم يوافق.. ولكنه أتى ليعتذر.. ولكنه أصبح الآن كبيرا لدرجة تجعله يفعل ما يريد وفي أي وقت يريده.. أم أنه ينفذ وصية والده في أن لا يمثل أبدا حتى بعد مماته؟ عندما وجدت نفسي قد غرقت في بحر من الاستفهامات التي من الواضح أنني لن أجد لها طوق نجاة أو منقذًا سوى أن أسأله هو شخصيا ومباشرة.. فسألته: يعني إيه مش هاتمثل؟ قال لي: «يعني إن شاء الله هاكون طبيعي جدًا في دور الأب.. أصل أنا أب وولادي في مثل عمرك؛ وهذا سيجعلني طبيعيا في الدور؛ لذلك فأنا أشعر أنني لن أمثل». قلت لنفسي: حمدا لله أن تفكيري وأسئلتي واستفهاماتي لم تكن مسموعة وإلا قد اعتذر عن الدور والفيلم بسبب تسرعي وغبائي. فتحت جملته تلك التي فاجأتني بابًا جديدًا للحديث عن أولاده.. هؤلاء الذي كان وجودهم في حياته سببًا أساسيًا أنه لن يمثل.. أو بمعنى أوضح حتى لا يقع أحد فيما وقعت فيه، أنه سيكون

طبيعيًا في دور الأب. وقد كان.. كان أبـًا حقيقيا في التمثيل وخارجه.. أحببت هذا الرجل أقل بكثير مما أحبني.. واحترمته أكثر بكثير من حبه لي. انتهى الفيلم الذي كان سببا في ولادة حُلمه. كان دائم النصح لي كالأصدقاء المقربين، كان صديقي الكبير، وكان دائما ما يستشيرني فيما يعرض عليه من أدوار فشعرت أنني أبوه الصغير.. أبوه الذي لم يرفض حُلمه. قال لي يومًا: «ناديني باسمي ولا تسبقه بألقاب». فقلت له: «لو كان ذلك سيزيد من صداقتنا فليس لدي أي مانع، وإن كنت تريد ذلك حتى لا تبدو كبيرا في السن فليس لدي مانع أيضًا». ولكنه قال لي: «لا هذه ولا تلك؛ فأنا أريد أن أناديك باسمك بدون ألقاب ولكنني لا أستطيع فعلها طالما أنت تناديني بالأستاذ». فقلت له: «من هذه اللحظة أنت ليس بأستاذ ولا أنا كذلك». ولكني سألته عن السبب والمغزى وراء طلبه هذا، فقال لي: «هذا سيساعدني أكثر على أن أبدو طبيعيًا في تجسيد دور أبوك.. فأنا لا أنادي ابني بـ «يا أستاذ» أبدًا مهما حصل». فقلت له: هل تشتم ابنك أحيانًا؟ فقال لي: طبعًا.. أشتمه جَدًّا وهزارًا. فقلت له: إذن لو شعرت أنني ابنك فعلًا ونحن نمثل أمام الكاميرا فلتقل لي ما تقوله لابنك جدًا كان أو هزارًا. وبدأنا التصوير وأنهيناه وجسد دور الأب بإتقان. ولم يناديني إلا بـ«يا أستاذ»، ولم يسمح لي أن أناديه إلا باسمه.. محمود الفيشاوي.. الأستاذ محمود الفيشاوي.. صديقي الكبير.. هذا الأسمر الطويل النحيل المرح الضاحك الراحل. رحل قبل أن يكبر حلمه. قابلته أول مرة بشوشا مرحًا يحب الناس والحياة وقابلته آخر مرة فرأيته أكثر مرحًا وحبًا للحياة.. ولا أعرف لماذا قال لي: «لا تجعل شيئا يضايقك؛ إن الحياة لا تستاهل». أعطاني برطمانا من العسل الأبيض ورحل.. وكان هذا آخر يوم رأيته وسمعت صوته،

، اليوم التالي فتحت تليفوني فوصلتني رسالة منه كان قد أرسلها قبل
م الذي رأيته بيوم واحد. قرأت الرسالة فوجدتها كالآتي: «عزيزي
اذ أحمد.. أنا جايلك بكرة التصوير وجايبلك معايا برطمان عسل
س لأن أكيد البرطمان اللي عندك زمانه خلص».

يحزنني كثيرًا أنني أتحدث عنه بلفظ «كان».. ولكنها مشيئة خالقه
ذه هي الحياة. وهكذا يكون بعض من يملئونها؛ أشخاص يحذرونك
غدرها فتغدر هي بهم، يطلبون منك أن تُقبل عليها وتبتعد هي عنهم.
ا الإنسان لم أكتب عنه لأنه ممثل مشهور أو نجم لامع.. لم يكن
ىا مرموقا.. لم يكن سياسيا أو عالما مثابرًا، لكنه كان إنسانًا.. إنسانا
هورًا بابتسامته، لامعًا بحبه للآخرين، مرموقًا بطيبته، مثابرًا في صبره
ى حُلمه، ظل سنينا طويلة ينتظر ولادته.. وعندما ولد تركه ورحل..
ات الحلم معه وهو ما زال رضيعًا.. محمود الفيشاوي.. الله يرحمه..
اتحة عليه وعلى حُلمه.

كان نفسي أطلع عربجي(*)

يا ترى عمرك اتمنيت تطلع عربجي؟ أنا اتمنيت وكنت فاكر أن كل الورق المطلوب علشان الواحد يبقى عربجي ورقة تثبت أن الواحد بيعرف يسوق حصان أو حمار، بس أنا كان طموحي أني أبقى بسوق حنطور مش كارو. كنت معجبًا جدًا بشكل الحنطور وخطوطه الانسيابية ولونه ودناديشه والكلاكس بتاعه اللي كان بيضربه العربجي برجله. يا سلام على شكل العربجي وهو متربع على عرش الحنطور كده وماسك كرباجه في إيده ولا فتوات الحرافيش. حبيت أوي الحنطور والعربجي لحد ما ابتديت أسمع جُمل من ناس كان وجود لفظ العربجي فيها لا يدل على أنه حاجة لطيفة، زي مثلا: «بلاش شغل العربجية ده»، أو: «انت شكلك قليل الأدب وعربجي» أو: «ماتصاحبش الواد ده لحسن شكله كده عربجي»، أو: «انت إيه.. عربجي؟».. ولا جملة سمعتها على العربجي كانت بتبشر بالخير أو تشجع إني أطلعه. ردود الناس خلتني أسأل نفسي كتير هو العربجي

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢٧ من يناير ٢٠١٠.

وظيفة ولا شتيمة؟ ولو هي شتيمة زي يا كلب ويا حمار ويا صايع وكده، يبقى الراجل اللي بيسوق الحنطور ده بيشتغل إيه!! اسم شغلانته إيه!! ولما إجابتي دايمًا كانت بتقول إنه «عربجي» قلت أسأل حد غيري، بس غيرت السؤال من «هو العربجي وظيفة ولا شتيمة؟» لـ «هو العربجي ده حلو ولا وحش؟». كلها كانت ردودًا وإجابات مش مقنعة بالمرة.. ناس قالولي طبعا مش حلو علشان طول النهار بيبقى قاعد في الشارع.. أمال يقعد فين؟ في جروبّي؟ واللي يقول وحش طبعا لأنه قليل الأدب وبيشتم. طب وهو مين مابيشتمش؟ ما كله بيشتم، وبغض النظر عن الجملة التربوية اللي هاكتبها دلوقتي إن الشتيمة شيء سيئ وقبيح بس موجودة وبتحصل. في سواقين ميكروباص بيشتموا وسواقين تاكسيات بيشتموا وميكانيكية وسباكين ونقاشين بيشتموا ودكاترة ومهندسين بيشتموا وأعضاء مجلس شعب بيشتموا ووزرا بيشتموا وأبهات وأمهات بيشتموا! ولا الشتيمة بقى ليها ناس وناس؟ ناس تشتم فتبقى الشتيمة طالعة من بقهم زي العسل ودمهم خفيف أوي، وناس تشتم تبقى شتيمتهم وحشة وقولالات الأدب. مش عارف أنا محير نفسي ليه!! ما أسأل صاحب الشأن.. سألت عربجي وقلت له: هو انت بتشتغل إيه لو سمحت؟ قال لي: أنا خريج آداب بس حاليا عربجي. قولت له: هي العربجة بتاخد آداب؟ قال لي: وتجارة وعلوم وحقوق وزراعة، بتاخد كله.. أي حد خريج أي كلية ممكن يشتغل عربجي عادي المهم يبقى عنده حصان أو حمار.

موضوع العربجي ده كان شاغل تفكيري من زمان أوي، من صغري تقريبًا، لما كنت بركب الحنطور سواء كنت راكب أو متشعبط

ورا. لدرجة إنه لما كان حد من الضيوف بيسألني: نفسك تطلع إيه؟ كنت برد بمنتهى الطموح والسعادة وأقول لهم: نفسي أطلع عربجي، وكان كل اللي حواليا يضحكوا، وكانت أمي تبصلي بصة.. كانت كبيرة على إني أفهمها، بس كان معناها بيوصلني. نظرتها كانت بتقول: «إيه اللي أنت بتقوله ده؟!». أنا ماكنتش حاسس إني بقول حاجة عيب. هو أنا مثلا قلت نفسي أطلع حمار؟ أنا بقول عربجي.. ماكنتش عارف أمي بتبصلي كده ليه! وماكنتش فاهم الناس اللي حواليها ضحكوا ليه. هو العربجي ماله!! وحش في إيه؟ وبعدين هو لو وحش ليه أمي كانت بتسيبني أقعد جنبه في الحنطور وإحنا رايحين لجدتي يوم الخميس؟ ولما كنا بنروح الهرم كنت بشوف الأجانب واقفين بيتصوروا جنب أبوالهول والأهرامات والعربجي.. يكونش الأجانب فاهمين قيمة العربجي واحنا لأ!! لأ مش جايز.. ده أكيد.. لأني عمري ما شفت واحد مصري بيتصور جنب عربجي. كنت هاموت وأعرف أمي زغرتلي ليه! والناس ضحكوا ليه! هي المشكلة فينا ولا في العربجي؟ حبيت ألعب اللعبة تاني مع ضيوف تانيين بس المرة دي قررت ما يتزغرليش.. فغيرت الوظيفة.. وسألني ضيف من نوع الضيوف البايخين اللي وهو بيسألك يلعبلك في شعرك وينحكشهولك وانت بقالك ساعة بتسبسب فيه وبتلزقه بالفازلين، وفي الغالب بيكون سؤاله أبوخ منه.. مش بسبب نوع السؤال تحديدا، ولكن بسبب تكراره.. ولأن في الغالب الضيف ما بيبقاش عنده حاجة يقولهالك فيقول السؤال التقليدي الممل: وأنت نفسك لما تكبر تطلع إيه يا حبيبي؟ بصيت لكل الضيوف القاعدين وأنا مراقب ترقبهم للنطق بأمنيتي وكأنهم هايسمعوا حاجة

جديدة.. مع إن كل العيال في السن ده بيقولوا يا إما دكتور زي بابا يا إما مهندس زي عمو، يا إما ظابط علشان أقبض على بابا.. قصدي ع الحرامية! المهم بصيت لهم وأنا كلي سعادة وحب وأمل.. بصيت لهم وأنا مبتسم وفاتح بُقي من الضرس اليمين لحد الناب الشمال، قولتها بصوت عالي وبالفم المليان: يا جماعة أنا.. أنا.. أنا عايز أطلع.. أطلع.. مهندس.. الضيوف انتبهولي يا دوب في الزمن اللي قولت فيه الكلمة.. بصوا لي مع ميم المهندس ولفوا وشوشهم مع انتهائي من سين المهندس.. وعااااااااادي جدا.. كل واحد كمل اللي بيعمله. اللي بيشرب حاجة ساقعة شرب واللي بيحط سكر للشاي كمل حططان واللي بياكل بياكل ولا كأني قلت حاجة. ولا ماما زغرتلي ولا الضيوف ضحكوا، فاتأكدت إن العربجي عنده حضور وكاريزما أكترمن المهندس بآلاف المرات. واللي حصل ده كان دافع قوي إني أفضل مُصرًّا على رغبتي في الطلوع زي ما أنا عايز، وكان كل ما حد يسألني: نفسك تطلع إيه يا حمادة؟ أقول له: عربجي، فيضحكوا وماما تزغرلي.. والعربجي يكبر في نظري أكتر وأكتر وماما تزغر والضيوف مهما يتغيروا برضه بيضحكوا والعربجي بيعلى ويعلى. واما ابتدى مستوايا يتراجع في الدراسة مسكتني أمي وقالت لي وهي بتزعق: «لحد إمتى هتفضل بليد كده؟ لازم تذاكر ولا مستقبلك هايضيع وترمي في الشارع. أنت إيه نفسك تصيع وتبقى عربجي؟»، وهنا كان مربط الفرس.. سبت كل الهيصة اللي حاصلة دي.. وقولتلها.. أيوووووووووه.. ماله بقى العربجي؟ بقالي سنين طويلة عايز أعرف ماله العربجي؟ فهميني! وبعد شوية صمت ونظرات اللي كان ناقصهم شوية مزيكا سسبنس.. بصت لي وقالت

لي: أنت عايز تجنني صح؟ امشي من قدامي الساعاتي.. قصدي الساعة دي.. دخلت الأوضة وبرضه ما عرفتش إيه الوحش في العربجي. يا جماعة لو حد يعرف يقول لي.. هو العيب فينا ولا في العربجي؟ ليه الناس الضيوف ضحكوا عليا لما قلت نفسي أطلع عربجي؟ ليه ماما زغرتلي لما قولتلها نفسي أطلع عربجي؟ إيه اللي ضايقهم.. في إيه في العربجي يضايق؟ ليه ما حدش عايزني أطلع عربجي؟ حد يرد عليا! يا اخونَّا يا ناس يا خالق.. يا عالم.. يا هووو.. هوو.. هو.. هـ.. (تنهيدة) واضح إن مافيش إجابة.. وبرضه ماعرفتش ليه ما حدش عايزني أطلع عربجي، مش جايز العربجي هو اللي مش عايز يطلع زيي؟!

ماتيجوا نقرا الفاتحة(*)

شاهدت ماتش مصر والجزائر الذي بدأ بقراءة الفاتحة بين اللعيبة المصريين وانتهى بفوز مصر على الجزائر أربعة صفر. واعذروني فلن أتحدث عنه. وشاهدت ماتش مصر وغانا الذي بدأ بقراءة الفاتحة أيضا بين اللعيبة المصريين وانتهى بفوز مصر على غانا واحد صفر. واعذروني لن أتحدث عنه. لقد شاهدت ماتشًا آخر لم يشاهده أحد غيري، ماتش لم تُقرأ فيه الفاتحة، وهو ما سأتحدث عنه.. جميعنا يعرف أنه لكي تكون هناك مباراة حاسمة فلا بد أن يكون هناك فريقان يلعبان، وعندما تنتهي المباراة فلا بد وأن يكون أحد الفريقين فائزًا، وبالتالي يكون الآخر خاسرًا، والأقوى هو من يفوز والأضعف هو من يخسر. وكُلنا نعرف نتيجة الماتشين اللذين لن أتحدث عنهما ليس لعدم أهميتهما بل على العكس، فهما حدثان يستحقان أن يدخلا موسوعة جينس للأرقام القياسية، ولكنني سأتحدث عن ماتش آخر أشعر أنه أهم بكثير من ماتش مصر والجزائر ومصر وغانا. سأتحدث عن ماتش حدث ورأيته

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٣ من فبراير ٢٠١٠.

بعد الماتشين ـ مصر والجزائر ومصر وغانا، ماتش كان بين مصر ومصر.. مصر كانت هي الفريق الأول فيه وكانت هي أيضا الفريق الآخر.. إحداهما فائزة والأخرى خاسرة.. ماتش مصر ومصر الذي أريد الحديث عنه لم يحدث على أرض الملعب، لم يحدث فوق المستطيل الأخضر، بل كانت الشوارع والحارات والكافيهات والمقاهي والبيوت والأسطح والكفور والنجوع والحدائق والمقابر والشبابيك والبلكونات هي أرض الملعب، وكان المصريون فيه هم اللعيبة.. وكان العالم بقاراته وأقطاره هم المتفرجين. شاهدت ماتشًا كان بين دولة ونفسها، نفس الدولة تلاعب نفسها، مصر بتلاعب مصر، بلد ضد نفسها. لاعبوها هم أهلها ولا وجود للحكم، فلتكن أنت الحكم. يا ترى هاتتمنى مين يغلب؟ هاتدعي لمين بالنصر؟ مصر اللي بتحبها ولا مصر اللي برضه بتحبها؟ شاهدت الماتش الذي كانت النتيجة فيه بالتأكيد لصالح مصر، ولكن أي مصر؟ فازت مصر فيه على مصر بتمانين مليون جون مصري. هناك تمانين مليون لاعب مصري أحرزوا أهدافهم التمانين مليون في أنفسهم. حسيت بعد ماتش مصر وغانا إننا مش مصر واحدة إحنا مصرين، مصر الفايزة الفرحانة الضاحكة المتلألئة، ومصر الحزينة الصامتة في الشوارع والحارات المظلمة.. مصر الباكية التي تنظر إلى فرحة المصريين من خلف شيشان الشبابيك والبلكونات المغلقة، مصر المكسوفة التي انهزمت من مصر المحروسة، شعب مصر الفائز وشعب مصر الخاسر. سألت نفسي يا ترى أنا من أنهي مصر فيهم؟ الفايزة الفرحانة المحروسة، ولا المغلوبة الحزينة المكسورة؟ من أنهي شعب فيهم؟ أنا اللي فزت ولا أنا اللي اتغلبت؟ تصدق إن أنا من الاتنين؟ من المَصْرين.. أنا غلبت واتغلبت في نفس الوقت.

عمرك شفت حد يبقى غالب ومغلوب في نفس الماتش؟ عمرك سمعت عن ظالم ومظلوم في نفس القضية؟ فرحت وصرخت وهيصت ورقصت وسجدت مع مصر اللي فرحت. شفت الشوارع المليانة بالمصريين الفرحانين بالفوز والنصر العظيم. شفت سعادة ماشفتهاش قبل كده. شفت شعب بيموت في تراب مصر، بيعبد مصر، بيعشق مصر، بيرفع علم مصر. حناجر مصرية مبحوحة من قوة وعلو واستمرار الهتاف بحُب مصر، لا أعتقد أن فيه شعب في العالم كله بيحب بلده زي المصريين.. ولا ماكانش قال: «مصر هي أمي».. لم يكن في الشارع مكان لقدم.. ولا لإيد.. لو راسك هرشتك مش هتلاقي مكان فاضي ترفع إيدك علشان تهرش.. إيه الزحمة اللي في الشوارع دي؟ إيه الحب ده؟ إيه الدموع والقشعريرة دي؟ إيه اللي بتعمله كلمة مصر فينا ده؟ الله عليكو يا مصريين وعلى حلاوتكو، حلاوتكو اللي بيزيد حلاوتها مرار صبركو فبقت حلاوة حلوة بزيادة.. وزي ما شفت شوارعها مليانة شفتها برضه قبل ما تتملي، ومش عارف ليه تخيلتها بعد مافضيت بعد المولد ما انفض. عارفين شفت إيه في شوارعها وفي وشوش ناسها؟ شفت مصر التانية، مصر اللي اتهزمت من مصر الأولانية، مصر اللي كانت مستخبية ورا الشبابيك، مصر الفايزة مشيت ومصر المهزومة فضلت، مصر اللي كل واحد فيها في حاله ومالوش دعوة باللي بيحصل ولا كأننا كنا واقفين جنب بعض من يومين تلاتة في نفس الشارع وعلى نفس الرصيف. أنا ماسك طرف علم وهو الطرف التاني. أنا بقول مصر مصر وهو بيرد بتحيا مصر. شفت واحد بيزعقلي علشان يا دوب ساند على عربيته، مع إنه كان من يومين تلاتة ماسك إيدي علشان ماقعش من على سقف نفس

عربيته، شفت مصر اللي سحابتها سودة، شفت مصر اللي بتسأل مصرييها ألف سؤال.. انتو ليه مانزلتوش تهيصوا في الشوارع لما نجيب محفوظ وزويل خدوا جايزة نوبل؟ ليه ماتظاهرتوش لما نجيب محفوظ اتعرض لمحاولة قتل؟ ليه ماشفتكوش على الطريق وتمثال رمسيس بيتحرك في شوارع القاهرة في موكب شهده العالم كله؟ ليه ماتظاهرتوش لما اضطهدوا فاروق حسني في اليونيسكو؟ مصر بتسأل مصرييها ليه منزلتوش الشوارع تفرحوا إن عندنا أذكى طفل في العالم؟ قاعدين في بيتكو ليه وانتو عندكو كل يوم ميت فرح تملوا بيه الشوارع فرحة؟ وكل ساعة مِيت مصيبة تعترضوا عليها.. انتو فين؟ ده انتو صوتي اللي بصرخ بيه وضحكتي اللي بعبر بيها عن حضارتي.. انتو المنصة والمنبر اللي بتكلم منه.. انتو سكاني وأهاليَّ اللي من غيركو أبقى مهجورة.. انتو ليه سايبني وعايشين لنفسكو؟ ده أنا انتو وانتو أنا.. انتو فين يا مصرييني؟ فين فرحتكو وحزنكو فين باقي الحاجات؟ ده لو نفس عدد المشجعين اللي في الشارع راحوا الانتخابات الرئاسية هايختاروا اللي هما عايزينه وحابين يبقى رئيسهم وزعيمهم.. مصر المهزومة بسؤالها عنكم بتقولكم إن خيبتها تقيلة.. مصر الجوانية المستخبية.. بتقولكم أنا اتغلبت منكم.. مع إني فزت بيكم.. ازاي أبقى غالبة ومغلوبة في نفس الوقت؟ انتو حيرتوني.. اللي هزمها ونجحها نفس ناسها.. ناسها اللي جابوا كل الأجوان وماجابوش ولا جون.. انتو خلتوني مصرين مش مصر واحدة.. ده أنا بقالي سبع تلاف سنة أم واحدة مش أمّين.. أنا مصر اللي بتعيط لأن مصر الفايزة بتغظني وبتطلعلي لسانها.. أنا مصر اللي استخبت من الخجل والكسوف لأنها خسرت في ماتش خلتوني ألعب فيه مع نفسي. أنا مصر الأم اللي مارضتش

أعكنن عليكو فرحتكو وأسمعكو صوت هزيمتي.. انتو ليه فرقتوا بيني وبيني.. ليه بتفرحوا لمصر ومصر التانية لأ؟ انتو ليه عايشين مصرين مش مصر واحدة؟ ليه مع إني بلد واحدة؟ ليه بنتغلب من نفسنا؟ ليه لما احنا بنعرف نغلب نفسنا ليه بنفوز علينا في حاجات وحاجات تانية لأ!! ده احنا نفس الناس.. نفس المصريين ونفس المصر.

صدقوني أنا زيي زيكو.. كل واحد فيكو جواه اتنين.. كل ماقربوا من بعض كل ما بقى أقوى.. ليه خلتوني مصر الغالبة ومصر المغلوبة؟ ماتمزجوا المصرين.. خلوني مصر واحدة.. مصر الكسبانة.. ماتيجوا مانلاعبش نفسنا تاني.. نبقى مصري واحد بمصر واحدة.. بلد مش اتنين.. ماتيجوا ناخد بالنا إن الطرف الخسران في ماتش مصريتنا برضه مصر.. ماتيجوا نفَرح مصر الحزينة ونضمها لمصر الفرحانة.. ماتيجوا نفرحها معانا.. ماتيجوا نبقى كلنا الحضري وأحمد حسن وناخد جايزة أحسن مصرين.. ماتيجوا نبقى متعب وزيدان ومحمدي والشافعي وجدو.. ماتيجوا كلنا نبقى حسن شحاتة.. دول حداشر واحد بس فرحوا تمانين مليون.. تخيلوا بقى لو كانوا التمانين مليون زي الحداشر دول هايفرحوا كام مليون لسة هايتولدوا.. ماتيجوا نفرح المستقبل بولاده.. ماتيجوا نخطط حلو ونلعب أحلى.. ماتيجوا نفرح بفوز مصر واحدة.. نفرح بكل حاجة.. نفرح بوقفتنا مع بعض وجنب بعض وفي ظهر بعض.. ماتيجوا مانخافش ونشوط في الجون.. نباصي ونرفع ونناول بعض.. المزنوق يباصي للفاضي.. ماتيجوا ندافع حتى لو هانموت.. ماتيجوا نقلل من الأفسيت والتسلل.. ماتيجوا نكسب من غير وقت ضايع ولا ضربات جزاء.. ماتيجوا نبدأ الماتش.. ماتيجوا نقرا الفاتحة.

عيد ميلادي(*)

سؤال.. تفتكر يوم «عيد ميلادك» يبقى عمرك كده زاد سنة ولا نقص سنة؟ السؤال ده سألته لنفسي: يوم عيد ميلادي.. يا ترى أنا كده عمري زاد سنة ولا نقص سنة؟ طيب ليه اليوم اللي أنا اتولدت فيه يبقى عيد؟ ليه عيد؟ ومين اللي حدد إذا كان عيد ولا مش عيد؟ بني آدم اتولد في أي يوم من أيام السنة.. إيه العيد في كده؟ إنك اتولدت!! أهلا وسهلا ياسيدي.. واحد اتولد.. حاجة عادية جدا.. زيك زي كل الناس اللي اتولدت على الكرة الأرضية من يوم ربنا ما خلقها وخلقنا.. وهو لو يوم عيد.. اشمعنى ليك انت؟ المفروض إنه يكون يوم عيد لأبوك وأمك اللي بالنسبة لهم أكيد هايبقوا فرحانين ومزقطتين بيك وبخلفتك، وخصوصا لو كان بقالهم كتير مستنيين إن ربنا يأذن بتكوين حضرتك.. وعلى فكرة مش بالضروري يبقوا فرحانين أوي.. يعني في حالة لو كان مرتبهم نص نص ممكن يبقوا فرحانين نص نص برضه.. والفرحة هاتقل عن النص لو كنت انت

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٠ من فبراير ٢٠١٠.

العيل الخامس ولا السادس في ترتيب إخوات حضرتك.. وياعالِم هاتبقى أنت آخر العنقود فهاتدلع ولا العنقود هايكون لسه ماتقفلش وفاضله عيل ولا عيلين كمان علشان يتقفل.. وممكن مايكونوش فرحانين بيك خالص وخبر بداية وجودك يكون سبب في خناقة كبيرة بين أبوك وأمك اللي كل واحد فيهم هايحاول يبرأ نفسه من سبب حدوثك اللي مش وقته خالص لأنهم لسه مش مستعدين لمصاريف خلفة سيادتك.. ومش بعيد أبوك يجبر أمك تنزلك وماتجيش أصلا.. ومين عارف.. ده ممكن أمك تنزلك من غير ماتقول لأبوك.. بس أنا هافترض بقى إن أبوك وأمك ميسورين الحال ومستنينك بفارغ الصبر وإنك فعلا اتولدت وجيت ونورت البيت.. وطبعا أكيد هاتتولد في شهر عادي من شهور السنة وفي يوم من الأيام العادية المعروفة بتاعة الأسبوع اللي كل ما هايهل علينا هاتقول النهارده عيد ميلادي.. عيد ليه؟ المفروض الواحد يقول النهارده يوم ميلادي.. أو ذكرى يوم ميلادي.. أو يا جماعة أنا اتولدت في يوم زي النهاردة.. وخلاص.. ولو عايز تحتفل بذكرى ميلادك يبقى قول النهاردة أنا هاحتفل بذكرى يوم ميلادي مش «بعيد ميلادي».. إيه البارانويا دي؟ مين اللي حدد إن اليوم اللي حضرتك اتولدت فيه عيد؟ أنت مين أصلا؟ واحد عادي.. إنسان مولود من كذا سنة.. عملت إيه مهم في حياتك علشان تخلي يوم ميلادك عيد تحتفل بيه انت وأهلك وأصحابك.. وحتى لو قلت أنا هاحتفل بيوم ميلادي مش عيد ميلادي.. تحتفل بيه ليه من أساسه؟ حصل إيه يعني لما اتولدت؟ أكيد كنت بتعيط وصوتك مزعج ومش عارف تقولنا انت بتعيط ليه، وأبوك وأمك مش عارفين يفهموك ولا يناموا منك وبتعملها على روحك أو على رجل أي حد

من اللي شايلينك، وريحتك وحشة وبتريل وبتقشط وبتتكرع في وش أي حد.. ودايما قارفهم ومشتت تفكيرهم ومخلي عينهم وسط راسهم لتقع ولا تتخبط.. ونايم وسطهم ومشاركهم في سريرهم لا عارفين يتقلبوا ولا يناموا ولا حتى يحضنوا بعض.. وإن نمت على سرير لواحدك هاتاخد مخدتين.. واحده يمينك والتانية شمالك علشان ماتقعش وانت نايم.. ناقص يحجروك بحجرين.. ده غير بقى السخونية والحصبة والإسهال والتطعيم والجفاف والتسنين.. صحيح خلفتك نعمة من عند ربنا نشكره عليها آلاف المرات والمرات.. بس بصراحة تربيتك مقرفة ومتعبة.. وفي الآخر تضحك عليهم بضحكة طفولية تنسيهم كل القرف اللي عملته فيهم وشافوه منك.. وخصوصا أمك اللي بالرغم من كل اللي شافته وشايفاه ولسه هاتشوفه منك ماتستحملش الهوا عليك.. آهي هي دي اللي المفروض يبقى ليها عيد صحيح زي عيد الأم فعلا.. عيد واضح وصريح ومفهومة أسبابه.. عيد بنحتفل بيه بالأم العظيمة اللي ربتك وشالتك وسهرت عليك وحملت فيك تسع شهور بتتقلب وتتوجع ونفسها تغم عليها بسبب إن حضرتك مضايقها في بطنها تسع شهور.. كتك القرف يا أخي.. عارف يعني إيه تسع شهور.. يعني ٢٧٠ يوم.. انت تقدر تشيل قزازة ميه في إيدك مش في بطنك لمدة يوم واحد.. تفضل قايم قاعد خارج داخل صاحي نايم بيها؟ أتحداك.. ده انت من أول ساعة ياهاتشربها ياهاتكبها في أقرب حوض وتطوح القزازة في أقرب صفيحة زبالة.. لو انت شايف إنك ضروري تحتفل بيوم ذكرى ميلادك يبقى تعالى نرجّع الحق لصحابه.. يبقى من باب أولى إن أبوك وأمك هما اللي يحتفلوا بيه مش انت.. يحتفلوا بالذكرى

العظيمة اللي ربنا اداهم فيها نعمة اسمها الخلفة.. وأنا أقصد الخلفة كخلفة في حد ذاتها.. يعني مش شرط تكون انت النعمة دي.. مين عارف ما انت ممكن تكون نقمة عليهم وتدوخهم سبع دوخات ما بين مصاريف وتعليم وعلاج وهدوم وأكل.. وممكن جدا في الآخر تبقى فاشل وصايع وضايع لا نافع فيك تعليم ولا دروس.. وتقول لي أحتفل بعيد ميلادي!! كاك نيلة.. واللي يجننك بقى إنه في يوم عيد ميلادك العظيم ده كمان يجيبولك هدايا.. على إيه؟ الهدايا دي كلها المفروض يجيبوها للراجل والست اللي صرفوا عليك دم قلوبهم.. هما اللي ياخدوا الهدايا كنوع من أنواع التعويض المعنوي عن اللي شافوه منك.. وتعويض مادي على اللي صرفوه عليك.. يبقى هما اللي بيستنوا اليوم ده مش انت.. انت المفروض يوم عيد ميلادك ده تقضيه اعتذار عن اللي انت عملته فيهم.. تبوس إيديهم ورجليهم ودماغهم وتقول لهم: سامحوني واوعوا تزعلوا مني؛ أنا وقتها كنت عيل ومش فاهم حاجة.. المفروض تسهر طول الليل تدعي ربنا إنهم ينسوا ويسامحوك.. مش تقول لي عيد ميلادي.. يا راجل روح.

ولو عايز يبقى ليك عيد ليوم ميلادك تحتفل بيه وتهيص وترقص وتزغرط حتى.. يبقى في حالة واحدة.. يوم مانقول الحمد لله إنك اتولدت للدنيا وللبشرية علشان اللي انت عملته فيها وليها أفادها.. ساعتها ابقى اعمل ميت عيد ليوم ميلادك يوم ما نقول الحمد لله إنك اتولدت، لأن لو ماكانش ده حصل ماكانش زمان عندنا أول واحد يطلع القمر مصري.. مثلا.. لما نقول الحمد لله إنك اتولدت ولا ماكانش هايبقى عندنا أول واحد اخترع القنبلة الذرية.. مثلا.. يوم ما نقول الحمد لله إنك اتولدت لأنك سند لأبوك وأمك.. يوم مانقول

الحمد لله إنك أعظم وأهم دكتور مصري في العالم.. لما الحالة دي تتحقق نقول الحمد لله إن جضرتك اتولدت.. ساعتها اعمل ألف عيد ليوم ميلادك.. احتفل بيه لما تبقى حاجة مفيدة ومهمة.. ساعتها قول بعلو صوتك هو ده اليوم اللي اتولدت فيه.. ساعتها مش هاتحتاج إنك انت اللي تقول.. لأن غيرك هما اللي هايفتكروه ويحتفلوا بيه.. ساعتها هاتعرف إذا كان عمرك زاد سنة ولا نقص سنة.. يوم ذكرى ميلادك ابقى فكر قبل ماتطفي الشمع انت عملت إيه في السنة اللي فاتت.. لو لاقيت عمايلك بيضة وإيجابية ابقى زود شمعة على شمع سنينك اللي انت حاططهم في تورتة عمرك.. نص كبايتك هايبقى مليان.. هاتعرف إن عمرك زاد سنة مفيدة.. وساعتها هاتفكر في يوم ميلادك الجاي وإنه ازاي يبقى عيد ميلاد مش يوم ميلاد.. يوم تزود فيه شمعة.. أما بقى لو لاقيت نفسك مش مفيد ولا مهم ولا ليك لازمة وعمايلك سلبية وسودة.. علطول شيل من شمع سنينك شمعة.. نقّص من عمرك سنة عدت من غير ماتعمل فيها أي حاجة مهمة.. وساعتها لازم تعرف إن عمرك نقص سنة، وكل سنة هاينقص سنة.. اعرف إنك عايش لورا مش لقدام.. اعرف إنه كتك نيلة فعلا عليك وعلى شمعك وعلى تورتتك.. اعرف إنك لا تمتلك من الكباية إلا النص الفاضي.. وإياك تهوب أو تبص على النص المليان.. عارف ليه؟ لأنه بتاع واحد بيحتفل بعيد ميلاده ومش كته نيلة زيك.. كتك نيلة.

جواب(*)

أمي الحبيبة.. تحية طيبة وبعد.. أرسل لكي خطابي هذا من خارج حدودك الدافئة.. أرسل لك خطابي هذا من إسبانيا.. من برشلونة تحديدا.. ودي أول مرة في حياتي آجي هنا، وأحب أطمنك إني كويس وصحتي كويسة وكل حاجة حلوة حواليا، ما عدا الظروف اللي باكتب لك فيها الجواب ده. الجو هنا برد جدا جدا وأنا قاعد دلوقتي على إحدى القهاوي الإسبانية البرشلونية.. قصدي الكافيهات الإسبانية أصلهم هنا ماعندهمش قهاوي، وتقريبا أنا المجنون الوحيد اللي قاعد برة الكافيه مش جوة ومكلفت نفسي ولابس تلتميت حاجة أهمهم طبعا الكلسون الصوف المصري الصعيدي الأصيل اللي بيحمي من برد بلاد برة، ده غير الفانلة الحمّلات والغير حمّلات والبلوفر والجاكت والكوفية والشراب الصوف التقيل اللي مخلي الجزمة ضيقة على رجلي، بس أعمل إيه لو ماعملتش كده هانشف من البرد. وطبعا لا غنى عن الجوانتي اللي اضطريت للأسف أقلعه علشان أعرف أكتب

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٧ من فبراير ٢٠١٠.

على اللاب توب، وكل ما اكتب كلمتين تلاتة ألبسه شوية علشان أرجع أدفي إيدي قبل ماصوابعي تقع من البرد..وأرجع أقلعه تاني علشان أكمل كتابة لحد ماهايجيلي انفصام في الشخصية.. ده غير صراعي مع بطارية اللاب توب اللي فاضلها نص ساعة وتخلص.. أصلي نسيت أشحنها قبل ما أنزل من الفندق.. علشان كده مضطر أفكر بسرعة في اللي هاكتبه.. لأن المفروض أبعت الجواب ده بالكتير دلوقتي حالا عن طريق الإنترنت من خلال الإيميل.. ولو سألتيني ليه ماحترمتش نفسي وحميتها من البرد الرهيب ده وقعدت أكتب في الفندق حاتكون إجابتي مش عارف. أنا قولت أجرب وأنزل أكتب في الشارع. صحيح جنبي دفاية بس الحقيقة بتدفي نفسها، مش عاملة أي حاجة خالص. جايز اللي مصبرني على البرد إني باكتب الجواب ده. الناس قدامي رايحة جاية اللي شايل شنطة واللي ماسك في إيده عيل، واللي ساحب وراه كلب، وكلهم متكلفتين زيي. فنجان القهوة بيبرد قبل ما الجرسون يحطه قدامي. أمي الحبيبة، أحب أقول لك إني شفت حاجات كتير هنا شبه اللي عندنا. شفت بيوت وعمارات على الطراز الإسلامي والعربي. أكلت أكلة عبارة عن طبق كده فيه شوية رز على جمبري على سمك على شوية حاجات مش مفهومة وكلها معجونة في قلب بعض وجوه بعض.. شكلها يقرف بس طعمها حلو قوي. الأكلة دي اسمها «باييا» ولما سألت عن سر الاسم قالوا لي إنه اسم أصله عربي بمعنى «البقية» والسبب في تسمية الأكلة بالاسم ده إنه مقصود بيها بواقي الأكل.. وبعد ما اطمنت إنه مش بواقي أكل حد تاني من اللي قاعدين جنبي في المطعم كملت أكل. ثانية واحدة هاطلب قهوة تاني بدل اللي بردت.. (مرت خمس دقايق) معلش اتأخرت؛ أصل التفاهم

كان صعب شويه مع الجرسون.. بحاول أفهِّمه أنا عايز إيه وهو مش فاهم.. فكان الحل إني أشاور له على الفنجان اللي برد وأقول له واحد تاني بلغة الخُرس والحمد لله فهم وراح يجيب قهوة تانية. واضح إنه أخرس. عايز أقول لك إنه بالرغم من إن الجو برد جدا لكن الهوا نضيف ونقي لدرجة إني جالي حساسية من الأكسجين النظيف. كمان في حاجة مضيقاني شوية لاقيتها في الفندق. وأنا بقلب في قنوات التلفزيون امبارح قبل ما أنام مالاقتش ولا قناة عربية.. مش عارف ليه!! مع إن قناة الجزيرة القطرية موجودة. شكيت إن قطر مش دولة عربية بس اتأكدت لما لاقيت المذيع بيتكلم عربي زينا.. مش عارف ليه قنواتنا العربية مش موجودة في إسبانيا.. شفت كمان حاجة غريبة جدا، عارفة شفت إيه؟! شفت عَجَل كتير قوي مركون على الرصيف، كله شكل واحد ومقفول بقفل كده من عند الجادون.. وطبعا سألت إيه العَجَل ده؟ هو في حد بيأجر هنا؟ قالوا لي لأ. فسألت أمال بتاع مين؟ قالوا لي بتاع الحكومة، عاملاه للمواطنين باشتراك شهري أربعين يورو في السنة.. يعني حوالي تلاتة يورو ونص في الشهر.. وفايدة العَجَل ده إن أي واحد مشترك فيه يحط الكارت بتاعه والقفل يتفتح وياخد العجلة يروح بيها مشواره وبعدين يسرقها، قصدي يركنها في أقرب موقف للعجل جنبه.. وطبعا العجل ده في كل شارع من شوارع برشلونة. والمشروع ده الحكومة عملته علشان تقلل من كمية التلوث اللي مش موجود أصلا.. بيستهبلوا. الغريب بقى يا أمي إنه فعلا ماحدش بيسرق العَجَل.. ماحدش فكر ياخد عَجَلة ويأجرها أو يفككها ويبيعها في وكالة البلح بتاعت إسبانيا.. لفت نظري كمان إن الناس كلها بتمشي بسرعة.. حتى اللي بيتمشوا بيمشوا بسرعة..

الناس هنا بتقدَّر الوقت وكأنه أهم من الأكل والشرب.. ثانية واحدة علشان القهوجي.. قصدي الجرسون جايب القهوة وجاي. (مرت خمس دقايق) معلش اتأخرت.. أصل الجرسون جاب القهوة باللبن وأنا طلبتها من غير لبن.. وطبعا هاشربها باللبن لأني مستحيل أعرف أفهمه.. ده فهم إني عايز قهوة بالعافية.. المهم.. صادف وجودي هنا عيد الفلانتين؛ عيد الحب.. اكتشفت إن احنا في مصر بنحتفل بعيد الحب ده أكتر من الحب نفسه.. بنحتفل بيه أكتر من الأوربيين بكتير.. إلا ماشفتش وردة واحدة حمرا في إيد واحد أو واحدة.. واضح إن الحب عند الناس دي في القلب مش في الورد الأحمر والهدوم الحمرا بس.. أمي الحبيبة.. باركيلي مش وأنا ماشي على الرصيف ماشفتش زبالة خالص.. وكمان بعدِّي الشارع من على خطوط المشاه.. أنا بردان.. بس مش مهم.. أمي الحبيبة أنا مش فاهم الناس ولا الناس فاهماني بس مبسوط. أمي الحبيبة كان نفسي تكوني معايا علشان تشوفي وتتفرجي بنفسك. لو كان ينفع أجيب الحاجات الحلوة اللي هنا معايا عندك كنت جبتها، بس مش هاينفع علشان دي حاجاتهم مش حاجاتنا، بتاعتهم مش بتاعتنا، بس لما أرجع أنا ممكن أحكيلك عن كل اللي شفته وأفرجك كل الصور اللي صورتها. هافرجك صور الشوارع والبيوت النظيفة. هاصورلك صورة للسما والسحاب علشان تشوفي الجو هنا عامل ازاي. هاصورلك ضحكة الجرسون اللي طلّعْت عينه ومش متضايق مني. هاصورلك ناس جايز يكونوا مش مؤمنين خالص بس مؤمنين جدا. هاصورلك نفسي وماتستغربيش لو لاقيتي شكلي مختلف عنهم، لأني هابقى متضايق ومتحسر ومغلول؛ لأني هابقى أناني وبقول اشمعنى احنا!

أمي الحبيبة وحشتيني بالرغم إني مابقليش أسبوع هنا.

أمي الحبيبة بحبك أكتر من أمريكا وإسبانيا وفرنسا وإنجلترا والصين واليابان وكل بلاد الدنيا.

أمي الحبيبة نفسي أسألك سؤال حتى لو ماعندكيش جواب بس هاسأله: هو ليه الحلو مابيكملش يا أمي؟

هو ليه احنا عندنا بنلاقي العضم في الكرشة؟

الناس هنا عاديين زينا، عندهم إيدين ورجلين وعينين ومناخير ومخ، وبياكلوا وبيشربوا زينا، وبالرغم من كده حاسس إنهم مختلفين عننا..

أمي الحبيبة.. البطارية خلاص خلصت.

مجرد سؤال(*)

مجرد سؤال: لماذا قال الشاعر: «ألا ليت الشباب يعود يوما.. فأخبره بما فعل المشيب»؟ ولم يقل: «ألا ليت الطفولة تعود يوما»؟ لماذا الشباب وليست الطفولة؟ هل لأنه من في سن الشباب سيكون إدراكه واستيعابه بما فعل المشيب بصاحبه أكثر من فهم وإدراك من هو في سن الطفولة؟ مع أن الأطفال دلوقتي بيفهموا كل حاجة. هل ياترى في سبب آخر لتفضيل مرحلة الشباب عن مرحلة الطفولة؟ برغم أنني أسمع كثيرا من الناس يقولون إن أجمل أيام هي أيام الطفولة، ويتمنون أن يعودوا أطفالا مرة أخرى من جديد.. طبعا أنا مش هاعرف هل هناك سبب آخر غير ذلك لأن المعنى في بطن الشاعر. ودي إجابة كنت دايما بأجاوبها في امتحان العربي لما ييجي سؤال عن قصيدة بيقول: «ما معنى البيت؟»، فكانت الإجابة طبعا: المعنى في بطن الشاعر.. وكنت طبعا باسقط؛ لأن المعنى كان في كتاب الوزارة مش في بطن الشاعر.. ولأن أنا لم يعبر بي بعد قطار

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢٤ من فبراير ٢٠١٠.

العمر من محطة الشباب لكي أشعر بما يحمله هذا الشطر الشعري من أحاسيس قالها الشاعر بعد أن قضى مرحلة شبابه؛ لذلك قررت أن أفكر فيها من منطلق كونها مقولة مجردة من الأحاسيس التي لن أستطيع أن أشعر بها الآن.. وربما أفهمها عندما أبلغ الستين ويبيض رأسي بالشعر الأبيض، ده لو ماصبغتش.. ولكن ما سأفكر فيه الآن هو لماذا تم تفضيل الشباب عن الطفولة؟! ولن أفكر من وجهة نظر الشاعر ولكن من وجهة نظري الشخصية، أي أنني سأفكر لو كنت أنا فرضا.. فرضا.. فرضا.. لا سمح الله قد قلت هذا البيت بنفس النص الذي قال له الشاعر الكبير.. طبعا لو كنت أنا اللي قلته أكيد ماكنتش هاسقط في العربي.. بس خلونا نفترض مجازا أو بجاحةً إن أنا اللي قلته.. إذن أكيد هايكون هناك سبب أني أختار مرحلة الشباب عوضًا عن مرحلة الطفولة.. وسيكون المعنى وقتها ليس في بطن الشاعر ولكن في بطني أنا، ما أنا اللي قايل بقى، وكل واحد أدرى باللي في بطنه. فلنبدأ بالتفكير، وفكروا معايا لو كنتوا شلة قاعدين مع بعض.. اشمعنى الشباب مش الطفولة.. جايز علشان الشباب يعني القوة والإدراك والنضوج.. طيب ما الطفولة برضه يعني البراءة واللعب والمرح وعدم تحمل المسئولية بدون مساءلة. في حد مايتمناش يرجع طفل تاني ويلعب ويتنطط؟ المرحلتين فيهما حاجات حلوة.. قعدت أفكر ليه لو كنت أنا اللي كتب البيت الشعري ده كنت هاقول ألا ليت الشباب مش الطفولة!! يبقى أكيد في حاجة في مرحلة الطفولة خلتني مش عايز أرجع طفل تاني.. مالاقتش قدامي غير إني أفكر وأحاول أحلل ليه أنا قلت كده؟ ليه؟ ليه؟ ليه مش عايز أرجع طفل؟ مش عارف.. لاقيت إن مافيش مفر

من إني أحاول أفتكر طفولتي، جايز لما أفتكرها ألاقي فيها حاجة ترشدني لسبب كتابتي البيت مستخدما لفظ الشباب مش الطفولة. وفعلا ضلمت الأوضة وعملت كل الحاجات اللي تخليني أفتكر.. فافتكرت يادوب وأنا في ستة ابتدائي.. ودي مرحلة الغلاسة مش الطفولة.. افتكرت بقى النكت اللي الواحد كان بيقولها وسط أهله ويحرجهم بيها قدام الضيوف من كتر بواختها وماحدش بيضحك غيري. وإن حد ضحك من اللي قاعدين يبقى بيخفي وراء ضحكته لفظ ماعتقدش إنك تحب تسمعه. المهم بعد ده كله مافتكرتش برضه. قلت طيب ما أشوف صوري وأنا صغير جايز تفكرني بحاجة. وفعلا طلَّعت كل صوري وأنا صغير، وياريتني ما طلعتهم! لاقيت صورة وأنا باكل مكرونة وملحوس بُقي صلصة، وصورة وأنا فاتح بُقي وباعيط، وصورة وأنا لابس إيشارب أمي، صور تخليك تكره طفولتك، مش تكرهها بس، دي تخليك تندم إنك اتولدت أساسا. مالاقيتش أمل في الصور يرشدني لإجابة سؤالي. فقدت الأمل وفتحت النور وقطعت الصور ورن التليفون ورديت: آلو مين؟ أيوه أنا محسن ابن خالتك. محسن لسة مخلف جديد، ولد اسمه آدم، وكان لازم أروح أبارك له. قلت له حاضر يا محسن هاعدي عليكو بليل. جبت هدية لآدم ابن محسن ابن خالتي ورحت له. وكان البيت في الأول مافيهوش ناس كتير بس ابتدوا يزيدوا. المهم دخلت وبصيت على ابنه آدم اللي نايم جنب أمه عفاف مرات محسن ابن خالتي، و لسه هالاعبه وأقوله بيس بيس بييس. عايز أقول لكو إن أنا تقريبا افتكرت طفولتي. آدم فكرني بطفولتي، وأول حاجة افتكرتها نور جامد، وكنت شايف كل حاجة بالمشقلب، وكان في واحد قاعد يهوشني بإيده قدام عيني، ولما

بربشت من الخوف بطل يهوشني، بس ضربني على «اللي لا مؤاخذة» أنا مش فاهم حاجة! جايز ضربني علشان بربشت؟ مش عارف، راح ضاربني تاني، ولأني ماكنتش بعرف اتكلم رحت معيط. واللي حرق دمي إني أول ما عيطت راح ضاحك، وأمي كمان ضحكت، وأبويا ضحك، وكل الموجودين ضحكوا! وأنا مش ناسيها لهم لحد دلوقتي. بعد كده لفوني في قماشة بيضة وحطوني جنب أمي.. وجت بنت لابسة بالطو أبيض وقعدت تلاعبني، وبعدين خدتني من جنب أمي ومشيت بيا في طُرقة طويلة. خفت وعيطت وفجأة البنت الجميلة اللطيفة اتحولت وكشرت وقعدت ترجني وتهزني وتقول لي: هش هش.. مافهمتش أهش ليه؟ هو أنا دبانة؟ طب والله ما أنا هاشش! ابتدت تشتم وتقول لي اخرس بقى.. اسكت.. وبعدين دخلت بيا أوضة كده مكتوب عليها «حضّانة».. وحطتني في درج بلاستيك زي درج التلاجة كده.. فضلت نايم في الدرج ده كام يوم كده الناس تيجي تبص عليا وتمشي.. كان ناقص بس يرمولي فول سوداني.. وبعد كده روحنا البيت وأمي غيرت هدومها فعرفت إن ده بيتنا لأن أكيد أمي مش هاتغير هدومها عند الجيران.. وكان البيت فيه ناس مش كتير بس ابتدوا يزيدوا شوية بشوية.. وكل شوية ألاقي واحد جه بص في وشي وراح مصفر لي.. وكأننا أصحاب.. وتيجي واحدة تبصلي وتقعد تعمل أصوات غريبة.. ادغ ادغ ادغ.. اكرررككركر.. إيه الناس دي؟! أول مرة يشوفوا عيل.. وبعدين هو مين اللي عيل بالظبط؟ أنا ولا هما.. دا غير بقى اللي يقول لي: «ياختي كميلة انتي».. ياختي ليه؟! هي أمي مش قايلة لهم إنها مخلفة راجل! وليه كميلة؟ ما هي طول عمرها جميلة بالجيم.. ناس عيال صحيح.. ده غير بقى

إن كل واحد وواحدة من دول أول ما يوصل عندي يقوم دابب إيده تحت مخدتي وسايب فلوس.. مابقتش فاهم.. هما بيلموا تبرعات عليا ولا إيه!! وبعدين جه واحد قعد يرفعني لفوق كده ويعمل نفسه هايسيبني وكأني هاقع ويمسكني تاني في آخر لحظة.. إيه يا عم انت هزار الكبار ده؟ هو أنا قدك.. جه بقى عيل صغير كده وراح باصصلي بتمعن وكأنه بيشبه عليا وفجأة راح لاسعني حتة قلم على قفايا وجاري.. راحت أمي أخيرا وبعد صمت طويل راحت مزعقة.. وبقيت هاموت وأعرف مين ابن الكلب ده اللي ضربني على قفايا ده.. ولما ماما قالت له كده تضرب أخوك يا حبيبي.. عرفت حاجتين في وقت واحد: إن اللي لسعني بالقفا أخويا، وإن اللي شتمته أبويا.. وفجأة فقت من سرحاني وأنا باصص لآدم ابن محسن ابن خالتي على صوت إيد بترقع على قفا «آدم» ابن محسن ابن خالتي.. وأمه عفاف بتزعق فيه وبتقوله كده تضرب أخوك يا كريم! رحت ضاحك ومميل على آدم وقايل له في ودنه: الله يكون في عونك.. فعلا ألا ليت الشباب يعود يوما. وساعتها عرفت المعنى اللي في بطن الشاعر، وليه قال: ألا ليت الشباب، وليس الطفولة.. ألا ليت الشباب يعود يوما.. فأخبره بما فعل الناس بي وأنا طفل».

شكرا للمخرج القدير شريف عرفة لأنه هو من أوحى لي بفكرة هذا المقال.

وقت إضافي(*)

البني آدم بياكل وبيشرب وبينام وبيقضي حاجته في الحمام. آه نسيت.. وبيشتغل. طقت في دماغي أحسب حسبة كده عن البني آدم.. كام سنة بينامها من عمره؟ الوقت اللي بيستهلكه في الشرب والأكل يطلع كام سنة؟ بيقعد في الحمام كام سنة؟ وبيشتغل كام ساعة؟ قصدي كام سنة! هاحسبها على متوسط عمر البني آدم العادي اللي تقريبا بيكون عمره في حدود.. نقول إيه؟ سبعين سنة مثلا.. من أول مايتولد لحد مايموت. نبتديها من أول ما العيل بيتولد. من خبرتي التي لم تتعد السبع سنوات في عالم الأبوة والتي اكتسبتها كأب، عرفت أن العيل لما بيتولد بينام أربع ساعات ويصحا أربع ساعات.. ولما بيصحا الأم بس هي اللي بتصحا معاه، وأنا بافضل نايم طبعا. أو بمعنى أدق بصحا لمدة ثانية مع أول عياطة للعيل وارجع أنام تاني أول ما أحط المخدة على رأسي تاني. أصل أنا كمان خبرة في النوم. كنا بنقول إن العيل في أول ست شهور بينام

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٣ من مارس ٢٠١٠.

أربع ساعات ويصحا أربع ساعات. يعني بينام حوالي اتناشر ساعة في اليوم وبيصحا اتناشر ساعة، وده لمدة ست شهور. يعني تلات شهور صحيان وزيهم نوم، ولما العيل بيعدي الست شهور دول بيبقى خلاص، زيه زي الكبار بينام تمن ساعات في اليوم. نضرب بقى التمن ساعات دول في تسعة وستين سنة ونص يطلعوا تقريبا.. في الشهر ٢٤٠ ساعة، يعني في السنة ٢٨٨٠ ساعة، يعني في المدة كلها تقريبا ١٩٨٧٢٠ ساعة نوم، زائد النوم اللي في الست شهور اللي فاضلين يبقى الإجمالي ٢٠٠١٦٠ ساعة في عمره كله! لو قسمناهم على أربعة وعشرين هانعرف عدد الأيام اللي بينام فيها البني آدم من أول ما يتولد لحد ما ينام للأبد.. يكون الإجمالي ٨٣٤٠ يوم. نقسمهم بقى على تلتمية خمسة وستين يوم يطلع ٢٢,٨٤٩٣١٥ سنة.. ده من غير حساب اليوم الواحد والتلاتين من كل شهر، يعني بالبلدي كده نقول حوالي تلاتة وعشرين سنة. تلاتة وعشرين سنة نوم! ده في حالة لو كنت بتنام تمن ساعات في اليوم. شوف بقى لو بتنام عشرة أو اتناشر ساعة.. تلاتة وعشرين سنة نوم بس من غير أكل وشرب وتواليت! نشوف بقى وقت الأكل.. لو بتاكل في اليوم تلات مرات والمرة بتستغرق حوالي مثلا عشرين دقيقة، يعني ساعة في اليوم.. يعني في الشهر ٣٠ ساعة، يعني في السنة ٣٦٠ ساعة، يعني في السبعين سنة ٢٥٢٠٠ ساعة، يعني ١٠٥٠ يوم، يعني حوالي سنتين وتمن شهور.. قول تلاتة لو كنت مفجوع شوية.. تلات سنين أكل! نخش بقى على التواليت.. والتواليت نوعين: مية وطينة.. وكل حاجة وليها وقتها طبعا.. الإسهال السريع غير الإمساك الشنيع.. هانقول مثلا نص ساعة في اليوم للمية والطينة مع بعض.. يعني

إجمالي سبعين سنة يطلع حوالي سنة ونص من عمرنا بنعمل فيهم تواليت.. سنة ونص تواليت.

أما بالنسبة للشغل بقى.. فممكن نقول لو مثلا بتشتغل ٦ ساعات في اليوم، يعني في الشهر ١٨٠ ساعة، يعني في السنة ٢,١٦٠ ساعة، ولأن طبعا ماحدش بيشتغل أول مايتولد ولا حتى أول مايتخرج من الجامعة، فأكيد مش هانضرب في سبعين سنة. ممكن نضرب في تلاتين سنة، يبقى المجموع ٦٤,٨٠٠ ساعة.. يعني ٢٧٠٠ يوم، يعني ٧,٣٩٧٢، قول تمن سنين. تمن سنين شغل لو كنت هاتعيش سبعين سنة! يعني إجمالي الأكل والشغل والنوم والتواليت يطلع تقريبا خمسة وتلاتين سنة وخمس شهور.. خمسة وتلاتين سنة للأكل والحمام والنوم والشغل.. تفتكروا الخمسة والتلاتين سنة الفاضلين ممكن يكفوا بقية الحاجات اللي أنا ماحسبتهاش؟ زي السنين اللي بنقعد فيها على القهوة والسنين اللي بنلعب فيها بلاي ستيشن، والسنين اللي بنتعلم فيها من غير ما نستفيد من اللي بنتعلمه، والسنين اللي بنم فيها على خلق الله، وسنين بتضيع في الخناق، وسنين بنقفها في البلكونات، وسنين بندور فيها على أماكن لركن العربيات، وسنين الطوابير، وسنين بتقنع فيها الأغبياء، ده غير سنين الوقوف في الإشارات العادية أو أمام كاميرات.. وسنين السُّكات والسرحان.. وسنين في الحقد وسنين في الحزن، وسنين في الكآبة والغم وسنين المسلسلات والبرامج والريموتات والفضائيات.. وسنين التفخيد على الشزلونجات، وسنين مجاملات وسهرات وأحزاب وسياسات، وسنين في المحاكم وخناقات وتحكمات وحكومات، وسنين في الأقسام والمستشفيات، وسنين لاتخاذ

القرارات وهجرات ووداعات وسلامات، وسنين دموع وأحضان في المطارات.. وسنين نط وجري ورا الأتوبيسات والميكروباصات، وسنين في علاج الميكروبات ودروس خصوصية وقعاد على سلالم الكليات وشيشة وكافيهات.. ومين صحي ومين مات.. وأفراح وعزى، وصلوات ودعوات.. وسرقة ونهب وفلان خد وكت والتاني مابيقولش غير هات.. طب ليه الدوخة الحسابية دي؟! ماتيجي نحسب الحاجات دي على يوم واحد بس.. يعني تمن ساعات نوم.. ست ساعات شغل.. ساعة أكل.. ونص ساعة تواليت.. ساعة إلا ربع مسلسل.. وبالإعلانات يبقى ساعة ونص.. ده لو كنت متابع مسلسل واحد.. نص ساعة تقليب في زراير الريموت على ما تقرر اللي انت عايز تشوفه.. ساعة على الأقل على ما توصل الشغل.. وزيها وانت راجع.. طبعا الحسبة دي لو كنت بتشتغل يوم الجمعة والشوارع فاضية.. بس خلينا نقول ساعة رايح وساعة راجع مجازا.. طبعا ده من غير الإشارات، ولا هابقى خيالي.. ومعاك نص جبنة.. قصدي نص ساعة فرجة على خلق الله في الإشارات.. ونص ساعة بتدور على ركنة.. ونقول ربع نميمة وربع حقد وربع سرحان وربع تفخيد في الشغل.. وخمس دقايق في كل صلاة سواء كنت مسلم أو مسيحي.. يعني خمسة وعشرين دقيقة عبادة.. قول نص ساعة بتفتكر فيهم ربنا.. وعندك يا سيدي ساعة ترفيه.. بلاي استيشن بقى أو قعدة على القهوة أو بولة استميشن.. يا خبر.. أنا نسيت الموبايلات.. ربع ميسدات مثلا.. وساعة استقبال وإرسال.. وربع استهبال وهزار.. وربع حموم لو بتستحمى كل يوم.. ماتيجوا نحسب كده.. علشان مادوشكوش بحسابات.. أنا هاحسب وأقولكو الإجمالي علطول.. ولو مش

واثقين فيا ابقوا احسبوا ورايا.. الإجمالي يا سيدي طلع: ٤٥ , ٢٤ أربعة وعشرين ساعة وخمسة وأربعين دقيقة.. خمسة وأربعين دقيقة زيادة على الساعات اللي خلقها ربنا في اليوم الطبيعي.. يعني يومنا مش مكفي.. يا نهار احوس.. أمال هانلاقي إمتى وفين وقت للتفكير والإبداع؟ وقت للتأمل؟ وقت للسعادة والفرح والقعاد مع العيال؟ وقت لزيارة الأهل وصلة الرحم؟

واضح إننا محتاجين وقت إضافي يا جماعة.

عصيدة عمصاء(*)

محتار أكتب عن إيه! لأ أنا مش محتار أكتب عن إيه. أنا محتار أكتب إيه أساسا!! مافيش في دماغي أي حاجة أكتب عنها. حاسس إن دماغي عاملة زي ما تكون أنبوبة غاز قاطعة النفس ومافيهاش ولا نقطه غاز. قلبتها يمين وشمال ونيمتها على جنبها وعلى ظهرها وبطنها جايز ألاقي فيها شوية كلام مكنونين في القعر يعملوا لي حتى سطر ولا سطرين يساعدوني في اللي هاكتبه واللي أنا لسة لحد دلوقتي مش عارف هو إيه. أصعب حاجة إن الواحد دماغه تبقى عاملة زي الأنبوبة كده تتفاجئ بأنها فاضية بدون تمهيد أو أي سابق إنذار.. يابختهم اللي عندهم غاز طبيعي.

أكتب عن إيه؟ بس.. لاقيتها.. أنا هاكتب شعر، أو هاجرب أكتب شعر! بس يا ترى أي نوع من أنواع الشعر؟ عامي ولا حُر ولا جاهلي؟ أنا أكتب شعر حُر علشان أبقى حر ومش متقيد ومرحرح كده وفاكك، وكل اللي ييجي في دماغي الفاضية دي أكتبه. أنا هاكتب قصيدة.. أو

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٠ من مارس ٢٠١٠.

بمعنى أكثر صراحة هاكتب عصيدة! وأتمنى أن لا يقرأ هذه العصيدة أي شخص له علاقة بالشعر من قريب أو من بعيد حتى لا يتأذى من الحرية المطلقة والمجردة من كل بحور الشعر أو مدارسه أو قوافيه أو تفعيلاته التي سوف أبتعد عنها كابتعادي عن المطبات الصناعية في الشوارع؛ ليس لأنني سأسلك مدرسة جديدة في الشعر، ولكن لجهلي بها. أعتذر كل الاعتذار عما سيبدر مني وما سأرتكبه في حق الشعر والشعراء. أعتذر لأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وجبران خليل جبران وأبو العلاء المعري وصلاح عبد الصبور والأبنودي وسيد حجاب وأمل دنقل وصلاح جاهين وبهاء جاهين وبهاء الدين محمد وأيمن بهجت قمر وإسلام خليل وبلحة العربي وزقلة المدب! أعتذر لكل إنسان ليس فقط يكتب أو يقرأ الشعر بل حتى لو كان يادوب بيكتب اسمه. أعتذر للكلام عن اغتصابي له وإخراجي له من تراصه فوق السطور بشكل طبيعي إلى محاولة انتهاك حقوقه وليي حروفه حتى أنظمها بشكل زجلي أو حتى نثري.. أعتذر له عن هذا النثر الذي سأنثر مفرداته وأهدر نقاطه.. ومن المؤكد أنه كان سيأبى أن تنثر.. وأعتذر أيضا للكلمات التي سأخدعها وأوهمها أنني سأصنع منها شعرا عظيما متناسقا منظوما ولن يكون إلا شعرا يشعرها بحجم الكذبة التي سأكذبها عليها.. ولو حاولت الحروف أن تتملص من القلم هربا من عشوائية شعري أو سذاجة أو ركاكة معانيه سأغلق عليها القلم حتى لا تهرب. وبالرغم من اعترافي الكامل بجريمتي الشعرية التي سأرتكبها في حق الشعر والشعراء والأدب والأدباء، واعترافي أن ما سأقوم به نوع من أنوع قلة الأدب.. وبالرغم من أنني ما زالت أمامي الفرصة للتراجع أو أمحو كل الأدلة التي ستدينني بأن

لا أرسل هذه المقالة لكي لا تنشر وأرسل غيرها.. ولكنني لن أكذب عليكم وأخبركم أن الوقت أصبح ضيقًا على كتابة مقالة أخرى. بالكاد أصبح الوقت ضيقًا ولكنني لا أملك غيرها جاهزا للنشر.. لقد بدأت كلامي معاكم قائلا إنني أشعر بأن رأسي أشبه بأنبوبة غاز فارغة.. ولكنني وجدتها مليئة وأرجوكم أن تتوخوا الحذر حتى لا تنفجر في وجوهكم أثناء قراءة هذا الشعر الغازي الخانق.. وإليكم هذه العصيدة العمصاء التي وإن دلت على أي معان فستكون معاني غير مقصودة وربما مقصودة بدون قصد.. وليكن هذا هو اسم العصيدة «مقصودة بدون قصد» فلنبدأ التلييف.. عفوا.. محاولات التأليف:

مقصودة بدون قصد
مرصودة كل الرصد
مكتوبة عن عمد
عمرها من زمن مد
مبحوحة من غير بح
مدبوحة من غير سح
منقوطة من غير نقط
مغلوطة من غير غلط
صعبان عليا حالك اللي اتقلب
مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
ميمك مالت من تقل همها
نشيدك اتبدل بكلام غمها
صادك صياد مشهور بالأسر
روحك راحت في لحظة غدر

راؤك راقدة بلا قومة
مش سامع عليكي لا صويتة ولا زووومة
عَلمك ما بيرفرفش
هواكي مابيطيرش
صعبان عليا حالك اللي اتقلب
مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
شايك ليه خشب وقهوتك بقت سادة؟!
عيشك بقى حطب وملحك زاد بزيادة
أهلك؟ مافتكرش.. دول غلابة وطينهم يابس
ضحكهم مدفون في وشهم اليائس
مال عيالك كده كبروا قبل أوانهم بكتير
واما سألنا عن السبب.. حِلفولنا إن هو ده التغيير
العجز في وشوش شبابك بقع
والبكا في عيون عواجيزك برطع
زمنك مارد بوش بارد منك مابيتكسفش
تميليه مهما تميليه مابيتكسرش
صعبان عليا حالك اللي اتقلب
مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
يا خسارة ماضيك اللي اتكتب
خيرك ضاع وغيرك كسب
واللي بحُبك عاش كسبان مات بعد ما اتغلب
جمالك بقى بس.. اسم
اتنقل من اسم لاسم

لسانك فقد النطق
صراخك مَرار في البق
نهارك من سكانك خاف واستخبى ورا السور
ليلك من سُرّاقك كره نفسه وبضلمته بقى مضرور
العمى فينا بقى نعمة البصر.. والحكم بينا بالظلم انتشر
شبابك العجز بقى فخرهم.. ومن حقهم
أصل بعد التحري عن انتحال شخصية همهم اتسجن حلمهم
الخرس بقى صوت الجرس.. والحمار ركب الفرس
صعبان عليا حالك اللي اتقلب
مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
الإيد خايفة من السلام
والبطن ما بيشبعهاش الكلام
والدفى في البرد عمره ما ينام
الشفا للمرض بقى زي حب الملاك للشيطان
الفقر من كتر فقره اتقلب بلطجة
مليون تترمي في سهرة.. وعند الفقير البريزة معصلجة
الجهل في الفصول عشش.. والمخ في دماغ العيال مشش
الكبد تلف من كل حتة والطحال راكب له جلدة
القلب عايزله زقة والمعده حيطانها لازقة
سرطان هد الجتة.. كبير صغير مش فارقة
تبرعات تبرعات.. حسابات وحسابات
صرف أدوية بالآلافات.. وإن مامعكش.. في بيتكو تبات
وإن عيطت يبقى خلاص زيك زي إلى قبلك فات ومات

ياتدفع ياتمشي من سُكات
وإن اداك فرصة هايسبقاها بصلّي على النبي عليه أفضل الصلوات
عليه الصلاة والسلام.. فرصتي لحد فين؟
النهاردة الاتنين.. معاك لحد التلات
ياتدفع ياتبيع عيالك أو اكفر بمصيبة ربنا كتبهالك
انتخابات انتخابات.. هَتِّيفة ومنلوجستات
الصوت بوجبة والتزوير وظيفة واجبة
يُفط وألوان بالزوفة
هتافات وأغاني معزوفة
أحزاب قديمة وأحزاب لكل يوم
أحزاب هاتيفة وأحزاب تموت في النوم
حزب واصي وحزب وعد
حزب للأمير وحزب للوغد
حزب يبني والتاني للي اتبنى يهد
حزب واحد وحزب اللي فيه ما يتعد
حزب لأ في عين التاني أيوة
وإن نجح لأ تبقى بقدرة قادر لأ أيوة
صعبان عليا حالك اللي اتقلب
مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
عارف لما تشوف الصبح بيطلع.. وانت قاعد
لما تلاقي قلبك بيدق وانت بارد
أو تنام وانت شارد.. وتجري وانت واقف.. وتبكي وانت ساكت
عارف لما عينيك تشوف جوة ناس.. وتحس بإحساس

عارف لما تبقى كل حاجة غلط صح.. وكل حلال حرام
المية تبقى نار والنار تبقى مطر
عارف لما تسكت وجواك مليان كلام
وتتكلم وانت مش طايق الكلام
تشوف الكدب من العينين باظظ
وإن اتكلمت هاتبقى عينيك بتشوف مش زي ما انت باصص..
تمشي مش زي ما انت رايح
تتمنى تموت وانت عايش
أو تعيش بس مش على الهامش
لما تحس إنك نُصّين لحاجة واحدة بس مش بتوع بعض
نص برق والتاني رعد
لما الأوتار تعور السمسمية
والدم يبقى ميه
صعبان عليا حالك اللي اتقلب
مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
شوية حريفة وحرفجية.. شاطرين.. بس في الفورياجية
عارف ولا مش عارف؟!
تفتكر في كام واحد عارف إنه مش عارف؟!
و كام واحد عارف إنه عارف؟!
وكام واحد مش عارف إنه مش عارف؟!
وكام واحد مش عارف إنه عارف؟!
أهم حاجة إن سمير صبري عارف إنه سكر حلوة الدنيا سكر
صعبان عليا حالك اللي اتقلب

مسكين بجد تاريخك اللي اكتأب
احنا جواكي مسافرين وشوقنا للرجوع مكابر
لاجوعنا شِبع ولا حزننا فِرح ولا مرضنا خف
الجوع أفندي اتجوز ست الحزن وبكفن مرضهم اتلف
أنا بس عايز حد يفهمنا.. هو احنا مفروضين عليكو ولا حاجة؟!
ربنا يكفيكوا شر مرض الحاجة
عارفة إيه اللي موتنا؟ الحاجة
الحاجة أصعب حاجة
الحاجة لحرف وسط كلمة مش عايزة تكمل
الحاجة لصوت ميت جوة حلق مش عايز يطلع
الحاجة لروح زهقانة من صاحبها ومش عارفة تطلع
الحاجة لودن مرة تسمع
الحاجة لقلب نفسه يخشع
الحاجه لضمير مايكونش للغلط مُقنع
ربنا يكفينا ويكفيك شر الحاجة
قول لنا نمشي لو مش عايزنا في حاجة
انتهت العصيدة

أعترف لكم أنني أحببت الشعر وكتابته، ولن تكون هذه هي المرة الأخيرة لكتابة عصائد شعرية، وأتمنى أن لا تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تشترون فيها الجريدة.. وأخيرا وليس آخرا وبقدر اعتذاري المسبق عن ما كتبته بقدر تأكدي البالغ العاقل الحر بأنني شعرت بكل كلمة كتبتها في «قصيدة بدون قصد».

في النهاية أدعو الله أن لا يخرج وحي الإبداع والتأليف الخاص بتأليف الروايات من بيت إبراهيم عيسى أبدًا حتى يظل هكذا متفرغا لتأليف الروايات.. فينشر مقالي في الصفحة الأخيرة.. وربنا يكفينا دفيء النشر في الصفحات الجوانية.

أبطال البطالة(*)

«مطلوب موظف».. «مطلوب موظفة».. كتير مننا زمان قروا العبارة دي وخصوصا على فتارين المحلات. راحت فين العبارة دي دلوقتي.. اختفت! مع إن المحلات لسة زي ماهي موجودة. دلوقتي العبارة اتحولت لـ« مطلوب وظيفة خالية» الشغل بقى مشكلة.. مابقاش في شغل.. ولأن الناس مش لاقية شغل.. ابتدوا يشتغلوا بعض.. ده حتى بقى مصطلح دلوقتي.. تلاقي واحد بيقول على واحد تاني «ده اشتغالة»!

نفسي أعرف إيه مشكلة «مشكلة البطالة».. أصل البطالة دي مشكلة هي نفسها عندها مشكلة.. فده معناه إن احنا لازم نحل المشكلة اللي عند مشكلة البطالة وبعدين نحل مشكلة البطالة نفسها.. أنا تقريبا تهت وتوهتوكو معايا.. أنا آسف مش هاعمل كده تاني.. أنا بشوف الناس اللي عندهم بطالة عايشين في بطولة.. كونهم مستحملين البطالة ده في حد ذاته عمل بطولي.. ولو تأملنا كلمة «بطالة» و«بطولة»..

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٧ من مارس ٢٠١٠.

هاتلاقي إن الفرق بينهم حرف.. شيل الألف وحط واو.. هاتتحول الكلمة بسهولة من بطالة لبطولة.. طب فين المشكله بقى؟ ما حلها سهل جدا اهو.. الكلمة اتحولت في لمح البصر من بطالة لبطولة.. ولو في حد في حالة بطالة وعايز يبقى في حالة بطولة يشيل ده من ده يرتاح ده عن ده.. وعجبي.. العاطلين بقوا كتير.. أوي.. ولو دورت عليهم هاتلاقيهم في أماكن كتير.. هاتلاقيهم قاعدين على القهاوي بيتفرجوا على اللي رايح واللي جاي.. واللي مامعهوش حق كباية الشاي هاتلاقيه واقف على الناصية. العاطلين هاتلاقيهم قاعدين على منتديات الإنترنت بيحاولوا يضيعوا وقتهم قال يعني في حاجة مفيدة. العاطلين هاتلاقيهم سرحانين في أسقف غرفهم ليلا متخيلين أشكالا لأحلامهم في تلك الأشكال التي صنعها تقشير البياض بفعل الزمن فتهاوت وظهر من خلفها خرسانة السقف المسلحة التي أصبحت أضعف بكثير من خرسانة هذا الزمن المسلح بكل قوانين الهبل. لقد لانت الخرسانة السقفية بأحلام ساكني غرفها ولم تلن تلك الخرسانة الزمنية ولم يفكر حتى سيخ واحد فيها بأن يلين. تشقق الطلاء وسقط عليهم بأحلامهم التي لم تتعد حدود سقفهم. سقطت عليهم وهم يرسمون واقعا خياليا هشا بخطوط شقوقها، فهذا خط يرسم زوجة وآخر يميل وينحدر بقوة مع هذا الشق العمودي فيرسم وظيفة، وآخر يرسم منزلا بحديقة صغيرة، وشقا يرسم ولادا وبناتا ولدوا من صلب شق آخر.. وهذا شق صغير يولد بين الشقوق ويرسم أملا في تحقيق الشقوق إلى واقع.. ولكن يا أسفاه ما هي إلا شقوق.. ولن تبدو غير ذلك مهما كانت عظمة تخيلهم. عاطلون يقرأون أحلامهم من شقوق أسقف غرفهم والتي لا تختلف كثيرا عن قراءة خطوط القهوة في

فنجان بين أصابع دجال أو دجالة من دجالين هذا الزمان الأهبل.. أحلام كثيرة يقرأونها ولا يعيشونها إلا في السقف.. ويا خوفي أن ييأس خيالهم ويضمر فيتحول إلى شقوق ترسم قبورا.

أعتقد أنه لكي يتم حل مشكلة البطالة لا بد وأن تتوفر ثلاثة عناصر.. اثنان غير هامين بالمرة، وثالثهم أهمهم، لو لم يتحقق وجوده فلا أهمية لسابقيه من العناصر. أول هذه العناصر هو وجود عاطل يريد العمل.. وما أكثرهم.

ثاني هذه العناصر هو وجود عمل لكي يعمل به هذا العاطل. ثالث عنصر وأهمهما كما سبق القول هو وجود واسطة تؤهل هذا العاطل للعمل بحيث يمكن أن يخطف الوظيفة من آلاف العاطلين أمثاله. ولو توفرت هذه العناصر الثلاثة يمكن حل مشكلة البطالة لأي عاطل. طيب اللي ماعندوش واسطة يعمل إيه؟ سهلة.. يدور على واسطة يجيب بيها واسطة. ولو ماعندوش ممكن يجرب يحل مشكلة البطالة لنفسه. والحقيقة أنا جت في دماغي فكرة عبيطة بس هاقولهالكو وياريت ما تقولوش على عبيط. لو أنت مثلا جبت ميت سنارة وحطيتهم في النيل.. انت مش هاتجيب ميت سنارة ولا حاجة.. أنا بضرب مثل.. تفتكر مافيش ولا سنارة من المية دول ممكن تغمز؟ أشك. جايز مافيش ولا سنارة هاتغمز في أول ساعة أو تاني ساعة، بس أكيد ممكن تغمز حتى ولو مش في نفس اليوم خالص.

طيب على غرار المثل السابق لو جبت ورقة بيضة أو مسطرة.. على حسب لو كنت بتحب السطور أو البياض أكتر.. اللي يريحك.. وكتبت على الورقة دي اسمك وسنك وعنوانك، اكتب فيها أنا شاب مصري

اسمي فلان الفلاني، نفسي أشتغل ومستعد أشتغل من غير مرتب أول تلات شهور وبين قوسين اكتبلهم «جربوني». اكتبلهم إن كل اللي انت عايزه مصاريف المواصلات وعلبة سجاير لو كنت بتشرب. وقول لهم يسلّموك علبة السجاير مفتوحة علشان مايشكوش إنك ممكن تكون مابتدخنش وعايز العلبة تبيعها، أو كل ماتعوز سيجارة هما يدولك، وطبعا ماتنساش تكتب رقم بطاقتك، وياريت يبقى الرقم القومي لأنه طالع موضة جدا دلوقتي، ومعلش اكتب كمان شهادة التخرج وسنة التخرج احتياطي، جايز تنفع، وصور الورقة دي بعدد السنانير اللي انت مش حاططهم في النيل أصلا.. وجمع أكبر عدد من العناوين؛ عناوين لشركات ومحلات ومطاعم وقرى سياحية... اللي تلاقيه قدامك، وابعت لهم الطلب وخليك رخم. تفتكر لو بعت لميت عنوان مافيش ولا عنوان من دول ممكن يغمز؟ أشك. ولو ماغمزش ابعت لغيرهم تاني وتالت. لازم يبقى عندك أمل وإصرار ورخامة. أنا أعرف ناس كتير سبب شغلهم رخامتهم. المهم يكون عندك أمل. ولو حصل واشتغلت بالطريقة اللي من غير مرتب دي.. اقتل نفسك واثبت وجودك وحب الشغل كأنك بتاخد خمس تلاف جنيه في الشهر. انسى الفلوس ولو أول تلات شهور بس. تفتكر لما صاحب الشغل يلاقي واحد مش هاياخد مرتب وبيشتغل بذمة وضمير زيك كده مش هايتمسك بيك؟! ده أكيد عمره ماهايفكر يفرط فيك أبدا.. وساعتها بقى.. تلعب الدنيئة.. تطلب مرتب حلو ياحلو.. يا إما تسيبله الشغل أبو بلاش ده وتمشي. ساعتها هايديلك مرتب يا إما هايقول في ستين داهية. وده معناه إنك لازم تمشي وتتخلى عن رخامتك لأنه راجل أرخم منك، ورخم على رخم مايرولش. وساعتها يبقى ماقدامكش

بقى غير الطريقة التقليدية.. اللي هي.. إنك تبص للشهادة بتاعتك؛ شهادة الجامعة اللي سيادتك متخرج منها، وتركنها على جنب وتفكر ازاي تشتغل حاجة مالهاش أي علاقة بالشهادة. صدقني ياما ناس كتيرة اشتغلوا شغلانات مالهاش أي علاقة بدراستهم. اللي خريج حقوق وبيشتغل في السياحة، واللي خريج تجارة بيشتغل في المقاولات. واللي خريج آداب وبيشتغل طيار، قصدي في المطار. صحيح كل دول اشتغلوا عن طريق الواسطة بس أكيد في أمل. المهم تركن الشهادة على جنب وتمسك جرنال الأهرام مثلا وتفلي صفحة الوظائف الخالية، ولما تزهق ممكن تاخد استراحة وتقرا كام خبر في صفحة الرياضة ولو مالكش في الرياضة وأنا أشك، يبقى اقفل الجرنال وريح عينك شوية من الخط الصغير اللي مكتوب بيه باب الوظائف الخالية وارجع تاني دوَّر جايز تلاقي وظيفة.. ولو إني أشك، بس جايز.. ولو مالاقتش جرب في جرنال تاني. صحيح إنك ممكن تلاقي نفس الوظايف اللي في الجرنال التاني هي هي اللي في الأولاني، بس جايز تلاقي وظيفة مش متشابهة.. ولو إني أشك، بس عموما أنا عايزك تتفاءل من موضوع الشك ده؛ لأنك طالما إنك بتشك إذن أنت موجود! ولو شكيت إنك موجود ممكن تتأكد من صفحة الوفيات وأتمنى إنك ماتلاقيش اسمك فيها.. ولو إني أشك.

زغروطة وحشة(*)

أنا عارف إن كلمة «زغروطة» بتكتب بالدال مش بالطاء؛ يعني «زغرودة». بس أنا حابب أكتبها «زغروطة» بدون ما ابقى مُخرب للغة العربية. بس أنا حاسس إن الطه مناسبة أكتر لمعنى الكلمة. يعني تخيل لو انت في خطوبة ولا في فرح ولا حتى في طهور، وسمعت واحدة راحت مزغرطة زغروطة حلوة وحبيت تعرف مين اللي زغرطت دي، بذمتك الأحلى إنك تقول: مين اللي زغرطت؟ ولا مين اللي زغردت؟ ده مش بعيد لو جوزها سمعك بتقول على مراته «زغردت» ممكن يطاهرك بدل العيل اللي بيطّاهر! أو تخيل لو نجحت بعد ما سهرت الليالي في المذاكرة ومقفت عينيك في الكتب وشُرب شاي وقهوة ودروس خصوصية وجبت مجموع كبير جدا وراجع البيت فرحان إنك هاتدخل طِب وتبقى دكتور.. ووسط ده كله مامتك تقولك والله لانا مزغردا لك. راحت الفرحة.. والمجموع الكبير نقص النص.. وكلية الطب بالنسبة لك بقت معهد كمبوسكو. مرة سمعت صوت

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢٤ من مارس ٢٠١٠.

زغروطة في المطار.. سمعتها من غير ما اشوف مين اللي مزغرطاها.. صوتها كان وحش أوي وبايخ. الأهم بالنسبة لي كان السؤال اللي هو ياترى اللي بتزغرط في المطار دي بتزغرط ليه؟ حد وصل من الحج؟ بس ده مافيش حج في يناير.. جايز حد نجح!! طب واللي نجح ده نتيجته متعلقة في المطار مثلا وجاي يشوفها؟ ولا واحدة حامل في التاسع كانت مسافرة أو راجعة وجالها الطلق وولدت!! بس أكيد لو واحدة جالها الطلق وهاتولد في المطار أهلها هايطلبوا الإسعاف أوقع من إنهم يقعدوا يزغرطوا في صالة السفر.. تخمين خاطئ.. طب إيه؟! إيه سبب الزغروطة الوحشة اللي رنت في مطارنا دي؟! صوت الزغروطة اللي مالهاش صاحب دي كان بيقرب مني كل شوية لحد ما أخيرا لاقيت مجموعة ناس كده ووسطهم عروسة لابسة فستان فرح أبيض أوحش من الزغروطة.. وفي رقبتها شبكة ألماظ ذوقها بشع.. لاقيت الناس دول ملفوفين حوالين العروسة وكان ناقص يعملوا دايرة ويرقصوا حواليها ويغنولها ياطالعة الطيارة ياماشالله عليها. إيه اللي جاب العروسة دي المطار بفستان فرحها؟ جايز اتلخبطوا بين المطار والفندق اللي جنب المطار. كل ده مش مشكلة، مش مشكلة إن العروسة بيتزغرطلها في المطار ولا إنها جاية تتجوز في صالة تلاتة، المشكلة مش في فستان الفرح أم ديل طويل أوحش من فستانه ده، المشكلة هاتركب بيه الطيارة ازاي؟ هاتعدي بيه من بوابة الكشف بتاعة المعادن اللي علطول بتصفر دي ازاي؟ هاتطلع بيه سلم الطيارة ازاي؟ هاتقعد بيه على الكرسي ازاي؟ هاتاكل ازاي؟ لو حبت تروح الحمام هاتروح ازاي؟! وازاي.. وازاي.. وازاي.. ازيات كتير قوي خلتني أهنج! معقولة في عروسة تسافر بفستان فرح

أكبر من الطيارة!! ده فستان عايز طيارة لوحده. ده الواحد بيبقى في الطيارة عايز يقلع كل هدومه من الزهق. طيب لو الطيارة وقعت في المحيط وجاتلنا فرق الإنقاذ ينقذونا ولقوا عروسة بفستان أبيض بتعوم وسط المحيط، إيه المنظر الغريب ده؟ أكيد هايفتكروها عروسة المحيط ومش بعيد يسيبوها علشان المحيط مايبقاش من غير عروسة. الله يكون في عون المحيط وفي عون عريسك. آه صحيح هو فين؟ ولأن العريس لازم يبقى لابس بدلة فدورت عليه بعينيا بس مالاقتش أي بدل ملبوسة.. فين العريس؟ جايز يكون مش لابس بدلة.. وليه مش واقف جنبها وسايبها واقفة لوحدها وسط الدايرة. فجأة ظهر راجل لابس شورت ووقف جنبها وهو بيضحك ومبسوط أوي.. فضولي إني أحدد ده العريس ولا لأ نساني آخد بالي إن الراجل ده ياباني.. عريس ياباني.. ياسلاااام.. صحيح كل واحد بيلاقي نصه التاني حتى لو كان ياباني.. الحقيقة أنا ماكنتش عارف هو ياباني ولا صيني.. أصلهم قطعية واحدة.. ارتحت بعد ما شفت العريس الياباني.. بس ارتياحي ده راح مع ضربة فلاش من كاميرا صغيرة كانت في إيد واحدة يابانية قصيرة بشورت برضه واقفة بتصور العروسة مع الراجل الياباني ده. الراجل طلع جوز اليابانية. أيوة كده صح، الياباني لليابانية، لأنه لو كان الياباني ده هو جوز العروسة دي أكيد ماكانتش اليابان وصلت للي هي فيه دلوقتي. طلعوا اتنين سياح يابانيين كانوا بيتصورا مع العروسة علشان يرجعوا اليابان يسيحولنا بالصور! طيب والعريس المصري بقى إمتى هايبان؟ اظهر وبان عليك اليابان.. لم يظهر العريس المصري. فضولي اللي هايوديني في داهية خلاني أتخفّى ورا شنطة وأقرب منهم أكتر وأحاول أسمع أي حاجة تقتل

فضولي. سمعت الست الفرحانة اللي كانت بتزغرط زغاريط وحشة بتتكلم مع ست تانية زعلانة ماكانتش بتزغرط خالص. الزعلانة قالت للفرحانة: «مش كان محمود ابني أولى بعزة بنتك؟ أهو على الأقل كنتوا عارفينه وحافظينه ومربيينه وابن خالتها وجارها وكان زميلها في الكلية والشغل». الفرحانة قالت لها وهي باصة على عزة بنتها: «كله قسمة ونصيب يا اختي». الزعلانه قالت لها: «والقسمة والنصيب يقولوا انكو تجوزوها لواحد ماتعرفهوش؟ افرضي طلع متجوز؟»، الفرحانه قالت لها: «الشرع حلل له أربعة».. قامت الزعلانة قايلة لها: «ده انتو حتى ماتعرفوش شكله». الفرحانة ماسكتتش وقالت لها: «مين قالك ماهو بعت لنا صورة حلوة قوي!». الزعلانة بزعل مليان فقدان أمل قالت لها: «أنا مش مصدقة إنك تجوزي بنتك لواحد بتوكيل لا تعرفه ولا يعرفها ولاشافته ولا شافها وتسفّروها كده كأنها كرتونة ولا شنطة!». الفرحانة بفرح مليان مصلحة وجهل قالت لها: «هي هاتعوز إيه تاني أكتر من كده؟ ده بعتلها مهرها متين وخمسين ألف جنيه، ده غير الشبكة التحفة اللي في رقبتها، ولا فستان الفرح اللي هاياكل منها حتة، ده كمان تلاقيه بشيء وشويات». الزعلانة بزعل صادق قالت لها: «الحاجات دي فرحتكو انتو.. بصي على بنتك كده، شكلها مبسوط؟»، بصت الفرحانة وبصيت معاها، احنا الاتنين مبتسمين، وفضلت الفرحانة مبتسمة وأنا راحت ابتسامتي، اللي شفته على وش عزة زعل وحزن كبير ماخدتش بالي منه. أصلي كنت مشغول بفستانها أبو ذوق وحش اللي ماكانش عندها حق اختياره، اتشغلت بشبكتها اللي أكيد خنقاها دلوقتي واللي مالهاش ذنب في قبحها. عزة مابتضحكش وشها جامد كأنه بلاستيك.. عينيها

ثابتة كأنها عميا.. باصة على لوحة مواعيد الطيارات.. لسانها مستخبي جوة بقها وبيدعي إنه يارب الطيارة ماتطلع.. عزة مقهورة زي أم محمود وأكتر.. ماصدقتش اللي سمعته بوداني.. عروسة متجوزة بتوكيل وهاتتشحن على جوزها، جوزها اللي الحاجة الوحيدة اللي شافتها فيه صورة أمها بتقول إنها حلوة أوي وأنا لا يمكن أصدقها.. ولا كنت صدقت إن فستانها هاياكل منها حتة، وشبكتها تحفة زي ماقالت. عرفت عريس الغفلة من غير ما أعرفه ولا أشوفه، بس عرفته من ذوقه، فستان وحش وشبكة أوحش. عزة كانت باصة ناحية باب الدخول بتشب على طراطيف صوابعها تخطف نظرة من بين زحام الناس بتميل يمين وشمال بنظرة نفسها تكمل لحد الباب القزاز، الباب القزاز اللي كان واقف وراه محمود.. محمود ابن خالتها وزميلها وحبيبها.. محمود اللي كان نفسه يتجوزها.. محمود ابن أم محمود الزعلانة.. عرفته من غير ما أعرفه.. عرفته من دموعه.. ولو كان كل الدعا بيستجاب ماكانش جه ميعاد الإعلان عن إقلاع الطيارة اللي رن في سماعات المطار وكأنه حكم إعدام محمود وعزة.. بص في عينيها أكتر ما كان بيبص.. عيط أكتر ما كان بيعط.. حاول يمنع دموعه اللي فضحت حبه وسط شيالين المطار.. بس ماعرفش.. ماعرفش يمنعها وماعرفتش أنا كمان.

مكرونة باشاميل(*)

ما هي الحقيقة؟

أتحدث عن الحقيقة ككلمة ولست أقصد حقيقة شيء بعينه. وربما أقصد أننا الآن في زمن لا بد وأن تمتلك فيه قدرات خاصة لتعرف من يخبرك الحقيقة ومن يخدعك، قدرات تفوق قدرات محقق مخضرم في جهاز أمن الدولة. ما أشهر جملة نسمعها دائما تقول: «الحقيقة أنا مش عارف أقولك إيه والله»، يجب أن تعرف بعدها أن من قالها لن يقول لك الحقيقة أبدا. سوف يضم حاجبيه ويقطبهما ليصبحا حاجبا واحدا أشبه بسطر أسود فوق عينيه فيصبح وجها لا يعبر أبدا عن الحقيقة. لقد أصبح العثورعلى الحقيقة كالعثور على سمكة تائهة في المحيط أو كالنقش على ماء شلال. وإن حدث ووجدت هذه السمكة المستحيلة أو تمكنت من النقش على هذا الماء المتحرك، عندئذ يصبح قولها أشبه بالاعتراف بجريمة وكأنها تمس الشرف. إذا وجدت نفسك تتهرب من قول الحقيقة إذن فهناك أمران: إما

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٣١ من مارس ٢٠١٠.

أنك لا تعرفها وتخاف من ظهورك كجاهل وأنك تفضل نعتك بلفظ المفتي العارف بالحقائق على أن يُنظر لك نظرة تحمل في طياتها اتهاما يكون مُكتملا إذا تحولت هذه النظرة إلى كلام يصف صمتك وعدم معرفتك بالحقيقة بأنك جاهل، فتجد نفسك خائفا من الجهل فتقرر أن تحوله إلى تأليف متقن وتصبح كاذبا أفاقا مُفتيًا مُؤلفا لحقيقة لم تكن موجودة أبدا إلا في وحي خيالك اللحظي الذي ستشكره آلاف المرات لإنقاذك من جهل كاد أن يلتصق بك! وياخوفي أن تُتقن كذبك ويكون لسانك راقصا محترفا للرقص بحروف الكلام فيرقص مع إفتائك رقصة بارعه تُفتح على أثرها الأفواه وتُدلدل الشفاه من إيقاعتها الوهمية، فيصدقك هذا المسكين السائل عن الحقيقة. أما الأمر الثاني الذي كنت قد قاربت على نسيانه وهو أنك تعرف الحقيقة وتعرف أين تسكن ولكنك لا تعرف طريق الشجاعة للوصول إليها والبوح بها، ويصبح خوفك هذا سببا في تكاثر الفساد، وتتوالى الأيام والسنين التي ستجعل من هذه الحقيقة التي لا يعرفها غيرك سرا.. تموت ويموت معك ويظهر من بعدك من لا يعرفها فيؤلفها مثلما فعلت أنت.

تتنوع الحقائق وتختلف.. تُكتب وتُمحى، تُذكر وتُنسى، تختفي وقتما لا تريدها أن تدينك وتظهر وقتما تريدها أن تنقذك، تتبدل وتتحور بناء على صفقاتك ورغباتك ونزواتك. أنت تريد الحقيقة لك وليس كما يجب أن تكون. ربما اقتربت مما أريد الوصول إليه. وربما بعدت كل البعد. ما الذي يغير الحقائق؟ المال والحاجة إليه؟ السلطة ورغبة الوصول إليها؟ هل الخجل من الحقائق يغير الحقائق؟ وأنا مالي، لا تنخدع في أن ما سوف أتحدث عنه عالم

من الحقائق المتوارية وكيفية تغيرها أو فساد مغيريها. لا لا لا.. لا تنخدع في أن السطور القادمة صراخ لاندثار الحقيقة وغرقها في قاع محيطنا المظلم.

لا لا لا.. لا تتوهم أنني سأتحدث عن الحقيقة التي غابت وتشكلت بكل الألوان التي أقسم إنها ألوان جميلة ورائعة وتسر من يراها ولكنها ألوان لا تثبت ولا تلتصق بأي شيء.

لن أتحدث عن الحقيقة الأشبه بشجرة بلا جذور يحملها من يريد أن يخدعك ويضعها أمامك ولا مانع من كنبة صغيرة تجلس عليها وتضع قدما على قدم وتتظلل بظل الفروع المهيمنة الخضراء التي إن أمرها الخالق أن تُظهر ما في جوفها لتبدلت إلى نيران تقذف أشواكا تحرقك أنت بقدميك بالكنبة التي تجلس عليها.

لا تظن أبدا أنني سأتحدث عن الحقيقة الخضراء الشاسعة التي تراها من الشباك وأنت تركب القطار متجها غربا أو جنوبا، أو يسارا أو يمينا، تنظر إليها باسمًا مشرقًا فرحًا بهذا الكم الأخضر الساكن الذي لا يتحرك بكل ما فيه من طيور وعصافير بدت كخيالات المآتة، خيالات ثابتة صامتة بغربانها السوداء التي تقف على أكتافها. ربما لو أمعنت النظر قليلا فيما تنظر إليه أيها الراكب ستدرك أن ما تراه مرسوم على زجاج شباكك.. إن حاولت فتحه ـ ولن تستطيع ـ فلن ترى إلا سواد الليل، ولن تسمع إلا صوت وقوف القطار الذي لم يتحرك بك فلانكة واحدة من البداية.

إياك أن تعبث بك أفكارك المتفائلة التي لا تقوى على الخروج من جمجمة دماغك بأنني سأتحدث عن الحقيقة التي نعرفها ولا نعترف

بها ونغمس رءوسنا في التراب كالنعام كلما ظهرت في الأفق حتى تعبر في سلام دون أن نحتك بها.. ونقسم بعدها إننا لم نعرفها ولم نرها فلقد كانت رءوسنا في التراب. ولن يهم وقتها إن كانت رءوسنا وضِعت أم وضعناها نحن بأنفسنا. فالجبن واحد مهما اختلفت دروبه.

أسألك أن تقرأ المعوذتين بالله عليك حتى تبعد هذا الشيطان اللعين الرجيم الذي يمكن أن يوسوس في نفسك بأنني ربما سوف أتحدث عن غياب الحقيقة المستمر من مدرسة الأخلاق الحميدة حتى تم فصلها نهائيا لتصبح من منازلهم.

حذارِ كل الحذر من أن تظن ولو للحظة أنني سأكتب سطرا واحدا يتحدث عن التنويم المغناطيسي المسيطرعلى عقولنا ويحرز كل يوم هدفا في الزمالك.. يفتح باب الدوري العام ويسدل بدلا منه ستارا على الفساد.

لا تتوهم أبدا أنني سأكون هذا الفارس الهمام الذي يقف في الميدان فاتحا صدره صارخا بما خفي من الكلام ويسأل عن الحقيقة.. حقيقة الأيدي الخفية الطائلة التي تلعب الشطرنج بكل من في الميدان.

لا تتخيل أن تمتمتي السرية في الصلاة دعاء على أحد.. أنا لا أدعو على أحد، لا على مسئول كان غير مسئول، ولا على كبير بدا من فرط كبره صغيرا كالذبابة. تمتمتي ما هي إلا تسبيح وحسبنة، أسبح لله شأني شأن كل المخلوقات، وأُحسبن لله مثل كل المحسبنين.

لن أتحدث عن أي شيء من هذه الأشياء ولكنني سأتحدث عن

عامل الدليفري الذي جاء يطرق بابي حاملا علبة كرتونية يستقر بداخلها دائرة من العجين المكسو ببعض الجبن والخضراوات. هذا العامل البسيط الذي استنشق أنفه تراب الطريق الدائري كله، وامتلأ صدره بلفحات البرد، ورُجم كشيطان المزدلفة من الحجارة المتطايرة من عربات النقل، جاء حتى يُشبع جوعي أملا في بعض البقشيش. فتحت الباب فوجدته مبتسما وكأنه مستيقظ من حلم ملون بألوان بحر جُزر المالديف.. حلم مرصع بذهب أشعة الشمس المنعكسة على رمال الشاطئ الناعمة. كان ينقصه أن يتمطع أمامي بعزم ما في دراعاته من قوة. نظر لي وزادت ابتسامته إشراقا وتحدثت كل ملامح وجهه عن هذه المفاجأة السعيدة في هذا اللقاء المبرم بيننا والغير مقصود.. لقاء صنعه أوردر لبيتزا سمول لا تستحق عناء المشوار من المحل حتى بيتي. أخبرني بأن قلبه يمتلئ بإعجابه بهذا الفيلم الأخير، واسترد حديثه عن الفيلم القبل الأخير وكم كان جميلا..

أما بقى الفيلم اللي هو كان فيه حضرتك على النخلة ده حكاية! لم يترك فيلما إلا وأشاد به، ولكي أقطع الحديث مددت يدي وأخذت منه ما يحمل زائدا عليه ورقة الحساب المتهالكة من عوامل التعرية التي تعرضت لها في الطريق. تواريت عنه للحظات آتيا بالحساب في يد وفي الأخرى ما نويت إعطاءه له من بقشيش. أخذ الحساب وبقي أن يطمئن على بقشيشه، وهنا قفزت الحقيقة في ذهني مرة أخرى..

هل ما قاله لي هذا البسيط من إعجابه بكل أفلامي هي الحقيقة؟ أم أن بقشيشه الذي ينام بيدي اليسرى يمكن أن يجعل الكاره محبا ويحول الشريف لحرامي والشجاع لجبان والبسيط لحويط؟ فلنعرف.. أخبرته أن يقول لي الحقيقة.. هل كل ما قاله لي من قلبه فعلا أم أنه يجاملني؟

قطع كلامه نهاية سؤالي مؤكدا أن ما قاله ما هو إلا الحقيقة. أخبرته أنه لو قال الحقيقة سأعطيه من البقشيش الضعف. نظر للبقشيش الذي تضاعف في لحظة وابتسم ابتسامة لم أفهمها.. ثم تلجلج قليلا ولكن اللجلجة راحت بعد أن خطف نظرة أخرى للبقشيش المضاعف وقال: «هو يعني الفيلم الأخير بس هو اللي ماعجبنيش أوي».

بدون أن أتحدث ضاعفت البقشيش إلى تلات أضعاف. لم يتلجلج وقال: «وبرضه عارف حضرتك المشهد بتاع النخلة ده كان ساذج شوية ماضحكنيش خالص». وخوفا أن أغضب لاحقني قائلا: «بس ولادي ضحكوا جامد». ضاعفت البقشيش ولم ينظر له ولكنه عرف من حركة يدي، وبسرعة أسرع من التي أخبرني بها بإعجابه قال: «والله هو حضرتك بصراحة الأفلام بتاعتك مش قد كده يعني، أنا أصلي...». وقبل أن يكمل ضاعفت البقشيش.. فقال: «أنا أصلي مش غاوي سيليما خالص». ضاعفت البقشيش، فقال: «أنا مش عارف أنت بتمثل ليه أصلا». ضاعفت البقشيش فانتهى حواره بـ«أنا بصراحة لا بحبك ولا بحب أفلامك».. وكان فاضل يشتمني بالأب والأم. أعطيته البقشيش فابتسم من جديد وكأني أفتح الباب لأول مرة. ورحل وهو يلوّح لي ناظرا للبقشيش ويدعو لي متمتما في سره.. ولم أسمع الدعاء.. هل كان دعاء لي.. أم عليَّ!

سأتحدث عن أول يوم لهذا الطباخ الجديد الذي أتى إلينا بعد عناء وبحث وتدوير طويل عن طباخ. أيقظني صوته العالي، ذهبت له بعد أن قررت أن أذبح له القطة من أول يوم شغل حتى لا يعيد

الكَرَّة. أخبرته بحزم وبصوت أجش لم يستيقظ بعد من حنجرتي: «لو عايز تاكل عيش هنا يبقى لازم تعرف إن البيت ده ليه احترام. انت جاي علشان تشتغل مش ترغي وتعلي صوتك ولو مش عايز اتفضل امشي أنا مابحبش الحال المايل!»، كنت قاسيا إلى حد كبير وكان الطباخ كبيرًا أيضا، اعتذر في خجل أو في احتياج.. الله أعلم.. طلب مني أن أتذوق صينية المكرونة بالباشاميل دي. غرست الشوكة التي أعطاني إياها في طرف الصينية حتى لا تتشوه. لم يكن التشوه الذي سببته المخدة في وجهي قد فارق خدي بعد، فزادت خدودي تكشيرًا زادت وجهي الغاضب تهجمًا وقسوة. سبقت رائحة المكرونة طعمها الساحر إلى أنفي.. تذوقتها.. ما هذه المكرونة التي لم أذقها حتى في إيطاليا؟! انقسم وجهي نصفين: نصف عابس بسبب ما فعله هذا الطباخ على الصبح، ونصف فرح بهذه المكرونة الخلابة والتي فعلها الطباخ أيضا.. الفاعل واحد والإحساس بداخلي متناقض. خفت أن لا يتذكر إلا التنكيل الذي فعلته به فيمشي، خفت أن أرفع وجهي من الصينية فأجده قد خلع المريلة وألقاها في وجهي وقرر الرحيل.. ولكنه لم يفعل.. فقد كان انتظاره لرأيي في المكرونة أهم من كرامته التي بعترتها. حلاوة المكرونة جعلتني أبتسم.. لا أعرف ابتسمت خجلا أم مصلحة. ابتسم هو الآخر.. قال لي: «هاه».. قلت له: «أنا مش عايزك تزعل مني أنا زي ابنك برضه». مصلحتي في بقائه طغت على صراحتي في أن أبقى محتفظا على زعلي من سلوكه. مصلحتي جعلتني أغير ما قد قلته من حقيقة.. كنت صادقا وأصبحت كاذبا. استيقظت شجاعا وأصبحت جبانا بسبب معلقة مكرونة، وزدت جبنا عندما أصررت على بقائه لتناول الغذاء معنا،

ولا مانع من أن يأخذ قسطا من الراحة بعد الأكل في غرفة نومي.. جلست مع نفسي بعد أن أكلت المكرونة كلها وماتت شهوة الأكل بداخلي وكل حاجة راحت لحالها. نظرت لنفسي في مرآة الحمام وأنا أغسل يدي محاولا إخفاء تلك الصلصة التي كانت كالدماء التي لطخت يدي من جراء هذه الجريمة الشنعاء. نظرت لنفسي ووجدتني أقول لها: «الحقيقة مش عارف أقولك إيه والله».

وزير التنقية والتقليم(*)

بحكم عملي في السينما قرأت الآلاف من المشاهد في السيناريوهات وشاهدت الآلاف منها أيضا، ولكني شاهدت مشهدا من بضعة أيام أقسم لكم إنني لم أضحك في حياتي مثل ما ضحكت على هذا المشهد. مشهد كوميدي ضاحك لدرجة الكركعة الهستيرية ثم البكاء. هذا المشهد ربما شاهدناه جميعا عبر الفضائيات أو الإنترنت. مشهد لم يكتبه مؤلف بل كتبه الواقع التعليمي في المدارس والذي أصبح طلابه وآباء طلابه ومدرسينه ومدرساته وموجهينه وموجهاته ووكلاؤه ووكيلاته وفراشينه وفراشاته يعيشون فيه كل يوم دراسي. لقد ضحكت ضحكا مخيفا. ما هذا الكم من الإفيهات الارتجالية المتعاقبه التي يعجز خيال كثير من الكُتاب على تأليفها ومجرد التفكير فيها؟ ليس لعدم تمكنهم من الكتابة ولكن لعدم قدرتهم على تقديم مثل هذا المشهد لابتعاده الكلي والجزئي عن عالم التصديق. سأحكي لكم المشهد الذي رأيته علشان اللي ما شافهوش يبقى عارف بنتكلم على إيه. سأحكي لكم مشهدًا لو

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٧ من إبريل ٢٠١٠.

كنت شاهدته في فيلم لن أصدقه، وستكون الجملة التي سوف أقولها بعد مشاهدته هي... خلوني أحكي المشهد الأول وبعدين أبقى أكتب لكم الجملة:

كان مكان المشهد في إحدى المدارس الابتدائية الحكومية.. الحكومية للأسف.. في زياره مفاجئة غادرة بمن لا يريدها ومن لم يتوقعها أو يخف منها وصل السيد الدكتور وزير التربية والتعليم صباحا إلى هذه المدرسة الابتدائية والتي كان ولا بد أن يسموها اسمًا آخر غير هذا الاسم المكتوب والمعلق على جدرانها. وصل الوزير ودخل من الباب الخلفي ـ الباب اللي لقاه قدامه ـ ماذا وجد الوزير عندما دخل المدرسة؟ وجد الحوش.. فيه إيه بقى الحوش؟ فيه هرج ومرج وعيال بتصفر وعيال بتزمر وعيال بتلعب وبتجري حوالين الوزير.. فين الطابور؟ أكله السبع! فين تحية العلم؟ العلم مابيحبش حد يحييه ولا يصبح عليه! فين الرهبة والقدسية بتاعة الطابور؟ كلتها القطة! طابور إيه يا معلم صلِّ على النبي! طبعا كل ده كلام لم ينطق به لسان أحد، ولكن كانت تنطق به الصورة التي شاهدتها. شاهدت طابورًا في منتهى النظام.. ده اللي كان نفسي أشوفه.. سمعت تحية العلم بأصوات التلاميذ الحماسية المليئة بحب الوطن جعلت العلم بيرفرف في يوم مافيهوش هوا.. ولا شمس وحياتك.. يوم أغبر كان نفسي أشوف فيه تحية العلم اللي أنا تخيلتها دي. ابتدى الوزير يلف حوالين نفسه يمين وشمال ويدوَّر على أي حد يكلمه.. ولما أهل المدرسة حسوا إن في رِجل غريبة دبت في المدرسة واكتشفوا إن الرِّجل دي رِجل وزير التربية والتعليم.. هاصت الدنيا أكتر وظاطت على الآخر.. كله جري عليه.. والحوارات اللي كنت باسمعها من

اللي واقفين حواليه كلها حوارات توضح أن صاحب الجملة مالوش دعوة باللي بيحصل ده.. ده أنا غلباااااان.. منهم سيدة فاضلة محجبة وعلى خلق ماعرفش هي مين ويا رب ما تكون مُدرسة لأني هاتضايق أوي لو طلعت كده علشان اللي قالته. سمعتها بتقول للوزير لما سألها عن الهرجلة دي قالت له: «أصل انت جيت فجأة».. يا سلاااااام! لا تعليق - والله ما أنا معلق على الجملة من كتر ماهي تضحك وتبكّي. طبعا أول حاجة عملها الوزير إنه سأل عن المسئول عن هذه المدرسة، وطبعا كلنا عارفين من ساعة ما كنا عيال في المدارس إن المسئول الأول والأخير والمسئول عن كل كبيرة وصغيرة في المدرسة هما الطلبة طبعا. علشان كده أنا مش عارف ليه بقى الوزير كان بيسأل عن الناظر! عايز منه إيه؟ يعني مش كفاية إنه جاي فجأة وبدون ميعاد! كمان هايسأل على الناظر؟ زمن عجيب صحيح، وزير التعليم يروح مدرسة مايلاقيش الناظر فيها يقوم يسأل عليه! معلش بكرة الزمن يتعدل.. وزرا آخر زمن! عايز أقول وأنا مش متعاطف خالص مع هذا الناظر.. قصدي الوزير اللي ماكانش مفروض يطب كده على المدرسه فجأة من غير ما يقول.. أمال بتوع الورد وأصاري الزرع اللي بتتفرش في المدرسة يشتغلوا ازاي؟ كده نقطع رزقهم. أصحاب محلات الفراشة اللي كنا هانجيب منهم السجاجيد المنقوشة يقعدوا كده من غير شغل؟

سمعنا أن الناظر عيان وعنده ظروف وكان في التأمين الصحي بيتعالج.. والله العظيم ألف مليون سلامة عليه.. ومن قلبي. بس المصيبة مش في إنه الناظر جه متأخر، المصيبة هي ليه المدرسة عاملة كده وليها ناظر مسئول عنها أيا كان اسمه أو سنه أو ظروفه الصحية؟

أنا شفت في المشهد تلاميذ عندها ألعاب مابتلعبش، وتلاميذ بتلعب ماعندهاش ألعاب. شفت تلاميذ قاعدة في فصل مش فصلها وشفت تلاميذ شايلة كتب مش كتبها.. كتاب مكتوب عليه «إبراهيم زغلول».. ولما اتسأل كتاب مين ده؟ قال: «بتاعي». طيب انت بقى اسمك إيه؟ قال أنا إبراهيم فاروق السيد.. أمال الكتاب ده بتاع مين يا بني؟ بتاعي يافندم.. أنا مش عارف الوزير محبكها ليه!! الاسم اللي على الكتاب ده اسم مؤلف الكتاب.. أو جايز يكون التلميذ ده عنده اسمين.. واحد ليه وواحد للكتاب.. شفت مدرس بيدرِّس كمبيوتر طُلب منه يكتب جملة من ثلاث كلمات على الكمبيوتر. كتب منهم أربع كلمات غلط. أكيد الكمبيوتر غلطان! يعني هو الكمبيوتر هايكون أذكى من الإنسان اللي اخترعه؟ لأ طبعا. يا سيادة الوزير بعد كده لما تحب تعمل زيارة مفاجئة لمدرسة ابقى قول قبلها، مش تروح فجأة كده، مايصحش.. ده الاستئذان واجب. خليهم يحطوا الورد ويفرشوا السجاجيد، ولو كانوا فاهمين إن ريحة الورد هاتغطي على ريحة الإهمال وإن نقش السجاجيد هايشغلك عن رؤية الأخطاء يبقوا فهموك غلط.. اللي بيحصل في الأيام الغبرة ده ريحته تفوق كل روائح الورد ولا تنشغل عنه نقش السجاجيد حتى ولو كانت سجاجيد عجمي. يا أهل المدارس يامدرسين كفاية كده. أنا عارف إن الفقر بيوجع والمرتبات مابتكفيش، بس برضه المفروض تعرفوا إن الجهل بيوجع أكتر وخصوصا لو كنت انت المتسبب فيه. الضمير الصاحي بيتعب، بس غيابه بيدمر. مش عارف ليه بقينا بنزعق واحنا غلطانين. أقسم بالله العظيم لو كنت مكان ناظر المضرسة دي لكنت قدمت استقالتي فورا بسبب الظلم، بس مش الظلم اللي اتظلمته.. لأ.. لأنك

انت اللي ظلمت نفسك بظلمك لتلاميذ انت مسئول عنهم.. إزاي تفكر في الظلم اللي حصلك ومافكرتش في الظلم اللي انت عملته؟

«مش للدرجة دي المبالغة».. كانت هذه الجملة التي كنت سأقولها إذا كنت شاهدت هذا المشهد في أحد مشاهد الأفلام. ولكن مع الأسف لم يكن هذا مشهدا في فيلم، ولكنه كان في مدرسة مصرية حكومية لا تحتاج لوزير تربية وتعليم.. بل لوزير تنقية وتقليم.. ينتقي الأخطاء وبدافع الخوف والقلق على جيل قادم لا بد أن يقلمها.. فلتُنتقى وتُقلم.

تحية خاصة أرسلها لكل من الأستاذ الفاضل نزيه شمس الدين ناظر مدرسة بنها الثانوية بنين، والأستاذ الفاضل سيد هلال وكيل مدرسة بنها الثانوية بنين.. أحييهما من كل قلبي وأقف لهما احتراما وتبجيلا لعدم ظلمهم لي. أقف لهم احتراما وفخرا على تربيتي التي سبقت تعليمي، التي لولاها لم تكن أسماؤهم محفورة في قلبي وعقلي حتى بعد مُضي أكثر من خمسة وعشرين عاما.. ولن تُمحى أبدا.

خليك لئيم(*)

«خليك لئيم»..

جملة قالها لي شخص أحبه جدا وأسعد به عند رؤيته، ولا أشكك أبدا في حبه لي. ما يمتلكه من الخبرة الحياتية يجعلني آخذ جملته بعين الاعتبار وأفكر فيها. قال لي جملته تلك سريعا بدون أي تفسير أو شرح أو حوار أو مناقشة، فقد كانت الظروف التي قال لي فيها هذه الجملة لا تسمح لي بأن أفهم منه المزيد عنها.. فقد رأيته في سيارته وكنت في سيارتي نسير على كوبري ستة أكتوبر. أشار لي بيده التي وضعها على أذنه وكأنها موبايل وقال لي هاكلمك أفهمك. انتظرت حتى يرن موبايلي ولكن لم يرن، فكان عليَّ أن أعتمد على نفسي وأجمع معلومات عما تحمله معنى كلمة اللؤم حتى أتبع منهجها. اتصلت بصديق لي معروف عنه اللؤم الشديد وقلت له أنا عايز أبقى لئيم لو سمحت.. أعمل إيه؟ وطبعا لأنه لئيم لم يخبرني! وقتها لم يكن أمامي إلا أن أدخل على الإنترنت لأبحث عن مبتغاي. أحضرت

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ١٤ من إبريل ٢٠١٠.

لاب توبي وكتبت كلمة «اللئيم» في أحد المواقع، ظهر لي سؤال: «هل أنت لئيم؟»، لو كنت لئيما لما طلب مني هذا الشخص أن أصبح كذلك. لم أستطع أن أتجاوز السؤال فنقرت فوقه بالماوس فوجدت الآتي:

أجب عن الأسئلة الآتية لتعرف إذا كنت لئيمًا أم لا.

السؤال الأول: عندما تجد نفسك في مأزق في لحظة من اللحظات، من الممكن أن تتخلص من هذا المأزق لو أوقعت طرفا ثالثا في المشكلة، لكن هذا الطرف الثالث كان قد طلب منك عدم ذكر اسمه في الموضوع بصفة عامة..هل:

أ ـ تضحي بالطرف الثالث من أجل مصلحتك أنت؟

ب ـ لا تذكر اسمه مهما كانت الظروف؟

ج ـ تشير إلى وجود شخص ثالث في الموضوع دون تحديد اسم؟

السؤال الثاني: هل أنت محبوب في وسط الجماعة التي تحيط بك في مجال أسرتك أو عملك؟

أ ـ لا.

ب ـ نعم.

ج ـ ليس من كل الأشخاص.

السؤال الثالث: رئيسك في العمل أشاد أمامك بجهد زميل منافس لك..هذا الزميل لفت الأنظار بمجهوده وسرق الأنظار من كل من حولك بمن فيهم أنت شخصيا.. هل:

أ ـ تشيد بمجهوده وتؤكد أنه يستحق التقدير الكبير؟

ب ـ تلتزم الصمت؟

ج ـ تشيد أنت الآخر بمجهود هذا الزميل، ولكنك تقول إن هناك من يساعده في هذا التفوق، مجهول لا يعرفه أحد؟

السؤال الرابع: عندما تشعر بالغيرة من زميل لك في أي مجال.. هل:

أ ـ تحاول قدر الإمكان أن تعطل هذا الزميل بإطلاق الشائعات حوله.. وتسفيه كل ما يقوم به؟

ب ـ تكتفي بأن تقول عن نفسك إنك مهضوم الحق؟

ج ـ تلتزم الصمت؟

السؤال الخامس: هل تعشق الأفلام البوليسية التي تعتمد على الخطط وكشف الألغاز في أحداثها؟

أ ـ لا.

ب ـ نعم.

ج ـ أحيانا.

السؤال السادس: هل تُغير نبرة صوتك من حين لآخر حتى لا يتعرف عليك من يتصل بك.. وتحاول أن يكون صوتك غامضا غير واضح للجميع؟

أ ـ نعم.

ب ـ لا.

ج ـ أحيانا.

والآن أعط نفسك هذه الدرجات.. لكل حرف درجة معينة:

السؤال الأول: (أ ـ ثلاث درجات) ـ (ب ـ درجة واحدة) ـ (ج ـ درجتان).

السؤال الثاني: (أ ـ درجة واحدة) ـ (ب ـ ثلاث درجات) ـ (ج ـ درجتان).

السؤال الثالث: (أ ـ درجتان) ـ (ب ـ ثلاث درجات) ـ (ج ـ درجة واحدة).

السؤال الرابع: (أ ـ درجة واحدة) ـ (ب ـ درجتان) ـ (ج ـ ثلاث درجات).

السؤال الخامس: (أ ـ ثلاث درجات) ـ (ب ـ درجة واحدة) ـ (ج ـ درجتان).

السؤال السادس: (أ ـ درجة واحدة) ـ (ب ـ ثلاث درجات) ـ (ج ـ درجتان).

والآن اجمع نقاطك واعرف نفسك:

إذا حصلت على ١٨ ـ ١٣ درجة فأنت إنسان واضح جدا، لا تعرف معنى المكر في حياتك، الخط المستقيم هو الخط الذي تسير عليه في حياتك ولا تعرف معنى للطرق الملتوية، تخاف من الأشخاص الذين تعرف عنهم هذه الصفة وتحاول أن تتجنبهم بشتى الطرق..

أنت إنسان صريح وطيب وعطوف جدا. تتحمس للمغلوب على أمرهم وتقف معهم بكل ما تستطيع من قوة. المهم أن تعرف أن هذا الأمر قد يعرضك لبعض المشاكل في بعض الأحيان ولكنك على أية حال قادر على مواجهتها.

أما إذا حصلت على ١٢ ـ ٧ درجات فأنت إنسان متوازن جدا في حياتك، تحب الخط المستقيم في التعامل مع الآخرين، ولكنك أحيانا تلجأ للطرق الملتوية إذا شعرت أنها تجنبك المشاكل.. ولكنها في الوقت نفسه لا تورط أحدا في المشاكل، أو على الأقل تقنع نفسك أنها لا تضر الآخرين.. أنت إنسان ناجح في عملك وفي حياتك الأسرية.

أما إذا حصلت على أقل من ٧ درجات فأنت إنسان خطير، ماكر جدا، تعشق المؤامرات ولا يمكن أن تعيش يوما دون أن تندمج في واحدة، أو أن تكون طرفا في أخرى. من الضروري أن تعرف أن كل من حولك يعرفون عنك هذه الميزة ومضطرون للتعامل معك إما خوفا أو تجنبا للمشاكل. ومن المهم أن تعرف أيضا أنه في غياب المركز الذي أنت فيه فإن الكل سينفض من حولك.

طبعا اختبرت نفسي وكانت النتيجة أنني نجحت نجاحًا ساحقًا وحصلت على نسبة ٩ , ٩٩ ٪ في امتحان اللؤم وعرفت أني لئيم جدا ومن الدرجة الممتازة كمان. كان الموقع الإلكتروني أيضا يتحدث عن اللؤم ذاته ولكن بشكل علمي وتحليلي لمعنى الكلمة.. مثل أن اللئيم هو الخائن والدنيء والسيئ الخلق، وهناك من قال إن اللئيم هو المنافق والحاسد وسليط اللسان والمتطفل والبخيل. ووجدت

المتنبي على الإنترنت يقول: «إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكته.. وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا»... إلخ.

وغيرها من صفات لا أشك لحظة في أن هذا ما قصده صديقي لأنني متأكد أنه يعني استخداما دارجا للكلمة ولا يقصد معناها التحليلي العلمي. ولكني وجدت موقعا آخر يقول إن اللغة كائنٌ حي يتغير بفعل الزمن والمكان ويتماهى معهما، فهناك مفردات كثيرةٌ طرأ على مدلولاتها تغيرٌ مع طي الاستعمال، ففي شأن وصف «اللؤم» فأنا أفهمه بالمعنى الذي أصبح دارجًا في هذا الأوان. اللئيم كما أفهمه الآن في هذه الصيرورة اللغوية ـ هو ذاك الذي يسوق أقواله وأفعاله الاعتيادية بغية تحقيق مأربٍ خفي يكون ظاهره السلام والعفوية، وباطنه التنبيط باللمز من أجل شيء آخر. ربما كان هذا الشيء شرا فتكون لئيما شريرا. مثل أن تقول لرجل أعمى إن السما شكلها حلو قوي النهاردة، أو أن تنصح رجلا فقيرا بالتصييف في فرنسا، وربما كان غرضك خيرا فعندئذ تكون لئيما سياسيا.

أعتقد هذا الكلام هو ما أبحث عنه.. وكان هذا ما يقصده صديقي.. كان يريد مني أن أصل إلى غايتي السليمة في الكلام بشكل غير مباشر.. بمعنى أن أضع السم في العسل.. وبعد أن وجدت السم واشتريت العسل.. سأبدأ مقالي وأنا الآن في منتهى اللؤم.. وطبعا لأني دلوقتي لئيم فمش هاقول إن الدستور بتاعنا لازم يتعدل، ولأني لئيم مش هاقول إن التعليم بقى يقرف، ولأني لئيم مش هاجيب سيرة العلاج والتمريض والمستشفيات إنها بقت حاجة تجيب المرض، وطبعا لأني لئيم لؤم رهيب عمري ما هافكر أجيب سيرة أي وزير ولا مسئول ولا عضو

مجلش شعب أو شورى محتاجين جلسات كهربائية تفوقهم! ومن اللؤم طبعا إني ماتكلمش عن النفخ اللي بيحصل في الأقسام! ولا الشوارع المدغدغة ولا الزبالة المترمية، ولا هاتكلم عن الأخلاق اللي بقت زفت والقيم اللي اتشد عليها السيفون لا مؤاخذة! ولا هاجيب سيرة الضمير اللي اتعدم ومات وادفن، ولا هاتكلم عن شيوخ الفضائيات، ولا عن الشباب العاطل اللي بيفكر يتطرف ولا يدمن ولا يتحرش. مش هاتكلم عن الزحمة. مش هاتكلم عن نقص الحدائق العامة والمتنزهات. مش هاتكلم عن التخطيط الغلط. مش هاتكلم عن الميغة والعزبة والقتة المحلولة. مش هاتكلم عن إن مافيش حمامات عامة في الشوارع للأطفال والعواجيز ومرضى السكر. مش هاتكلم عن الأتوبيس اللي بيقف في نص الشارع ده لو وقف أساسا. ولأني لئيم جدا مش هاتكلم عن الأسعار اللي بقت نار والرواتب التي لا تنمو، ولا هاعترف إن الحاجات الصح قلّت والحاجات الغلط زادت. ولأني لئيم جدا مش هاقولكم إني زورت في نتيجة امتحان اللؤم اللي عملته لنفسي وكذبت عليكو وقولتلكو إني نجحت فيه بامتياز وبقيت لئيم!

إيه رأيك ماتجرب تمتحن نفسك.. بس خليك لئيم.. زيي.

اعتذار مؤقت(*)

قرأت كلاما لقراء على موقع الدستور الإلكتروني يعلقون على حبهم لمصر جعلني سعيدا ومسرورا جدا. وجدت بين هذه الكلمات التي قرأتها إحساسًا صادقًا يذوب عشقا في حب مصر ويرغب في جعلها أحسن بلد في العالم.. ولم تكن هذه الأحاسيس وحيدة في صدقها، بل كانت توآخيها وتؤازرها أحاسيس أخرى لكلمات أخرى شعرت فيها بجنون جامح لحلول تبحث عن الطريق الصحيح للتنفيذ. شعرت بحماس التصحيح فيها يبحث عن منفذ للخروج من دائرة ارتسم محيطها وتلون جوفها بخطوط الجهل وتكبير الدماغ السوداء.. هذه الدائرة السوداء إن ظللت تنظر إليها من بعيد فلن تراها إلا حفرة عميقة لا يظهر عمقها من شدة سوادها، فتخاف أن تذهب إليها حتى لا تسقط فيها، وإن كنت شجاعا ومقداما وتبحث عن الأفضل فاقترب منها ولا تخف، كل ما عليك هو أن تتخذ قرارا بطرد الخوف من الاقتراب، وعند وصولك لها لن تجدها إلا دائرة

(*) تم نشر هذه المقالة بتاريخ: ٢١ من إبريل ٢٠١٠.

سوداء مرسومة على الأرض ما أسهل أن تَعبر من فوقها بقدميك. وعندما تصل إليها وتعرف أنك كنت تخاف مما لم يكن يجب أن تخاف منه ستحزن وتبكي على كل هذا الوقت الذي أضعته وأنت تقف بعيدا خائفا من الاقتراب والسقوط في شيء لا يسقط فيه إلا من خاف منه وابتعد عنه، فهناك أمور كثيرة في الحياة نراها من بعيد وحوشا مخيفة.. وإن اقتربت منها ربما تجدها أشجارا كثيفة تتظلل بها. كانت هذه الكلمات التي قرأتها ما هي إلا تعليقات لبعض القراء جاءت على موقع الدستور الإلكتروني. وما سبق هو ما شعرت به في جوف هذه الكلمات الصادقة البسيطة التي تخلو من رغبة في شهرة أو زحف نحو أن تُقرأ أو دوران حول حلاوة معنى تُكتب به؛ لذلك وجدتها كلمات كُتبت بقلب بسيط وسُطرت بعقل يفكر في الأفضل.

بعد أن انتهيت من القراءة وجاء دور الكتابة. كتابة المقال، هذا المقال الذي جعلني أصل إلى «حقيقة» أخذت بسببها «قرارا». كانت «الحقيقة» التي وصلت إليها هي أنه لما يكون مطلوب منك تعمل حاجة وتلاقي نفسك بتعمل كل الحاجات إلا الحاجة اللي مطلوب منك تعملها، ساعتها اعرف أنك مش عارف تعملها أو أنك بتتهرب من إنك تعملها. أنا بقى عملت حاجات كتير ما عدا كتابة المقال.. أكل وأكلت، شُرب وشربت، نوم ونمت، صَحَيان وصحيت، حموم واستحميت، لعب ولعبت، رغي ورغيت، خروج وخرجت، ودخول ودخلت، تركيز وركزت، سرحان وسرحت، عملت كل حاجة إلا إني أكتب المقال المطلوب مني. كل ما أقعد أكتب أسرح في الورقة وسطورها، أقول جايز جعان، قمت كلت، وقعدت تاني أكتب لاقيت نفسي عطشان فقمت تاني وشربت ورجعت قعدت، كبس عليا النوم

فنمت وصحيت. كتبت أول حرف، حرف من كلمة.. والله ما أعرف هاتكون إيه. كان حرف «ح».. شميت ريحة وحشة جنبي. بعد بحث وتدوير وشم، طلعت ريحتي! قمت استحميت واتليفت واتبرفنت واتنشفت ولبست وقعدت، بصيت للحرف وحطيت نقطة جواه فبقى «ج».. وبرضه مش عارف أحط الحرف ده في كلمة إيه!! ما أنا لو كنت عرفت أحطه في كلمة وهو «ح» كنت عرفت أحطه وهو «جيم».. طيب ياترى هابدأ بيه الكلمة ولا هايبقى في نصها ولا في آخرها؟ بس أنا ألاقي الكلمة الأول وبعد كده يحلها ألف حلال. جايز لما ألاقي الكلمة باقي الكلام يظهر والمقالة تطلع. قعدت وفكرت تاني وتالت ورابع وعاشر لحد ما زهقت. مسكت محمولي ورغيت شوية رغي مالوش أي لازمة.. قعدت تاني بس قمت.. اتخنقت فخرجت شوية أشم هوا ورجعت. وقعدت تاني أفكر وأفكر لحد ما سرحت.. عدى وقت ومن بعديه وقت وأنا ماكتبتش غير حرف واحد اتحول لحرف تاني بنقطة.. ولم يكن المجهود الذي بذلته في تحويل الحرف أكثر بكثير من مجهود تحريك القلم على الورقة لكتابة حرف آخر.. كان «س».. لم أكتب إلا حرفين.. سين وجيم.. لم أجد مفرًّا إلا أن تكون السين أول حرف لكلمة سؤال سألته لنفسي: هاتعمل إيه في الحيرة اللي انت فيها دي؟ ولم تتباطأ الجيم لوضع نفسها كأول حرف لكلمة جواب رديته على سؤالي: هاعتذر، هاعتذر عن الكتابة. ولكن قبل أن يكتمل اعتذاري بآخر حروفه أحب أن أرد على سؤال لفت نظري من أحد التعليقات التي قرأتها على موقع الدستور الإلكتروني لأحد القراء كان يقول:

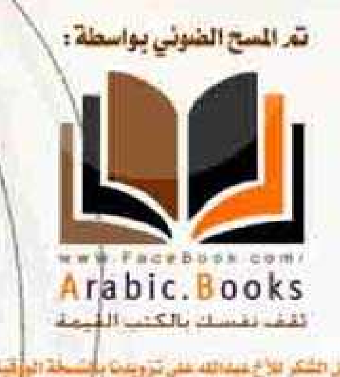
لو سمحتم عايز تعليقي ده يتنشر، عايز حد يجاوبني ويقول لي مين أحمد حلمي؟

قرأت أيضا إجابة عن هذا السؤال من أحد القراء وكانت كالآتي:

مافيش حد هايعرَّفك مين أحمد حلمي إلا أحمد حلمي نفسه.

فكان عليَّ أن أرد وأجيب السائل وأقول له: «أنا يا عزيزي شخص كان مطلوب منه يعمل حاجة.. فعمل كل حاجة إلا الحاجة المطلوب منه يعملها.. وذلك يقتلني.. من أجل ذلك أعتذرعن الكتابة وأترك مكاني لآخر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يستيقظ ولا يستحمى ولا يتليف ولا يتنشف ولا يرغي ولا يخرج ولا يدخل ولا يسرح هربا مما طلب منه.. أعتذر».

الشكر لأسرة ثقف نفسك
لرفعها الكتاب
تمت المعالجة في مجلة الإبتسامة
زين العابدين





اسمي أحمد محمد حلمي عواد، اتولدت في مدينة بنها بمحافظة القليوبية يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٩. اتخرجت سنة ١٩٩٣ من المعهد العالي للفنون المسرحية – قسم الديكور. اشتغلت في الدعاية والإعلان، وبعد كده اشتغلت مذيع في القناة الفضائية المصرية في برنامج أطفال اسمه «لعب عيال»، اللي كان السبب في إني اقف قدام كاميرات السينما في أول دور سينمائي في فيلم «عبود على الحدود».. وتوالت الأدوار بعد كده. نصي التاني هو زوجتي الرائعة منى زكي، ونصي التالت بنتي لي لي.. اللي بتقول لكم: يا رب الكتاب يعجبكم يا جماعة.. يا رب.

أحمد حلمي

يا رب الكتاب يعجبكو يا جماعه.
لى لى أحمد حلمي

جميع حقوق المؤلف المادية عن هذا الكتاب يتم التبرع بها لجمعية ألوان وأوتار.
لمزيد من المعلومات عن أنشطة الجمعية يمكن زيارة هذا الموقع:

www.alwan-awtar.org


ISBN 978-977-09-3099-1
9 789770 930991

دار الشروق
www.shorouk.com